ملحمة الإمام علي عليه السلام

رشيد جهاد رشاد

www.haydarya.com

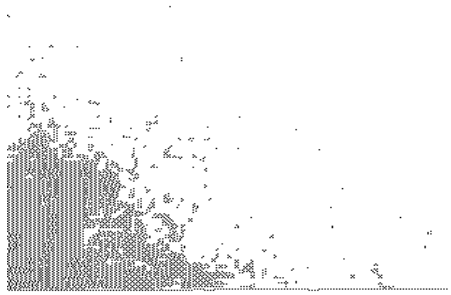

ملحمة

الإمام علي عليه السلام

شعر

جورج شكور

الطَّبعة الأولى

شباط ٢٠٠٧

خطوط العناوين بريشة الفنّان علي عاصي

جميع الحقوق محفوظة للشَّاعر

الطباعة والتجليد

SAB International

Beirut - Lebanon

مكتبة الروضة الحيدرية
النجف الأشرف

الإهداء

إلى روحِ الإمام عليٍّ (ع) ملهمةِ الأممِ
في الشهادةِ والبلاغة.

جورج شكور

المقدّمة

بقلم سيادة المطران العلّامة جورج خضر

مِن إبداع وسَكْرة رُوح

يَنزِلُ الشِّعر على الشَّاعر وكأنَّ قوَّةً فيه أو فوقَه تُوحيه، وهو ليس كلِّيًّا مِن صُنْع البشر لأنَّه ٱحْتِدام أو ٱقْتِداح. وفي حال المَلحمة هو ٱنْخِطاف شديد. وإذا كان موضوع القصيدة شخصًا كالإمام عليّ عليه السلام فبَيْنَ الشَّاعرِ وموضوعِه هِيام.

إلى هذا، جورج شكُّور مُتَجَذِّرٌ في قديم التَّاريخ. مع ذلك يَطْلُعُ مِن حداثة الإحساس. فالمَتانة الَّتي عُرِفَ بها في ما سُطِّر على قلمه، وأُصوليَّتُه في النَّظْم لا تَحْجُبان عن إحساسك تَلاحُمَ القوَّة عنده والرِّقَّة. عربيَّةٌ، ولو منحوتةً مِن صخر، تَصِلُ إليك في شَفافيَة مُذْهِلة، وفي لُطْف كبير. وفي ٱعتقادي أنَّ جورج

شكُّور بَلَغَ في هذه القصيدة العَصْماء ذُروةَ نِتاجه ولا سِيَّما أنَّ النَّوع المَلحميّ يأتي مِن إبداع وقلم مُكَهْرَب أو لا يكون.

وما كان هَيِّنًا على أحد أن يَكشِفَ وَجْهَ الإمام ويَسْتَبْطِنَهُ على هذه العُذوبة والطُّهر والتُّقى، والأستاذ شكّور قائم في مقام آخر مِن الدِّين. وفي هٰذا تَجَنُّحٌ يَكْسِرُ كلَّ الحَواجز حتَّى ينضمَّ أديبُنا إلى هذه الصَّفْوة مِن المُتَطَهِّرين، فتتَّسِعُ عنده الرُّؤيا ولا تَضِيق العبارة. وهٰذا إنجاز فَرِيد عند مَنْ كَتَب. إذ ذاك، لا يَسَعُك أن تُفَرِّق بين العبارة وبين القلب مَصْدَرِها. هذه القفزة مِن داخل النَّفس إلى الوَرَق بلا نُشوء ثُنائِيَّة بين الرُّوح والقلم، ليست غريبةً عن كاتب اتَّخذ عَلِيًّا عليه السلام مِثالًا له في الحياة الرُّوحِيَّة في صَدْر الإسلام.

سِيرةُ عليّ مَحْبُوكة مُنذ مَوْلده. بحيث إنَّ القصيدة، ولو لم تَكُنْ نَظْم أَحداث إلاَّ أنَّها قِصَّة تاريخيَّة يَلْعَبُ فيها الشَّاعر لعبة حبِّه فتستلذّ، قارِئًا، هِيامًا بِمَن غدا أميرَ المؤمنين، ونَطَق بلسان عربي يَعْسُرُ التَّشَبُّهُ به. القصَّة موثَّقة بدقَّة ولكنَّها آلَتْ بنَظْمِ

مُلْهَم إلى مقام الشِّعر الكبير. ويُسْعِفُك شاعرنا بِرَبْطِ هذا البيت أو ذاك بالآيات الكريمات أو بأحداث مِن السِّيرة النَّبَوِيَّة كيف يَنْهَلُ مِن الينابيع ولا يبقى أَسيرًا لِلَّفظ، وتتساقط على قلمه القوافي عَذْبَةً، تَتَبايَنُ فِيها الجَمالات ويُصِيبُك الدُّوار المُذْهِلُ، ويلتقي فيك الصَّحْوُ والسُّكْر.

ويُتْبِع جورج شكُّور تاريخ الإمام بما هو دَعْمٌ للدِّين الحَنِيف، وينقله إلى يَثْرِب بعد الهِجْرَة، ويجعله في معركة بَدْر، ويرفعه، ويُذِلّ أعداء الإسلام حتَّى يأتي شاعرنا إلى زواج فاطمة عليها السلام لِيَجْعَلَ على لسان النَّبِيّ صلى الله عليه وآله في النَّظم الشَّكُوريّ: «زَوَّجتُ فاطمةَ عليها السلام كما أَمَرَ الهوى». بعد هٰذا تأتي معركة أُحُد سَرْدًا نثريًّا عن هذا المصدر أو ذاك ثمَّ يَبْني على السَّرد ما يقارب أربعين بيتًا. معركة عُقِد النَّصرُ فيها لِقُريش، وما غابت عن ساحة الوَغَى بُطولات عليّ عليه السلام حتَّى أَتَى صاحب المَلْحمة معركة الخَنْدَق الشَّهيرة الَّتي أشار فيها سَلْمان الفارسيّ على النَّبِيّ صلى الله عليه وآله بِحَفْرِ خَنْدَق، وما كان لِلمُشْرِكِين معرفةٌ بهذه التِّقنِيَّة. وفي هذا المَوقِع برز عليّ عليه السلام، وٱنتصر المسلمون.

وآخر حديث في هذا المَفْصِل معركة خَيْبَر ومطْلَعُهُ:

كانت بِخَيْبَرَ لِلْيَهودِ مَعَاقِلُ
فِيهَا حُصُونٌ كَالجِبالِ تَخَايلُ

ويطولُ مَدْحُ النَّبِيّ ﷺ لِعَلِيّ عليه السلام إلى أن يبلغ الشَّاعِر قوله:

هُزِمَت جُيُوشُ المُشْرِكِينَ بِخَيْبَرٍ
ظَفِر النَّبِيُّ، وكان نَصْرٌ حَافلُ

إلاَّ أنَّ الملحمة ليست فقط حديثًا في الحرب، فدخل ما أمكن اعتبارُه الجُزءَ الرُّوحيّ منها، فافتتح هذا الجزء بِـ «يوم الغدير» المَسْنُود إلى حديث الغدير المشهور: «إنَّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم مِن أنفسهم، فَمَن كُنْتُ مولاه فهٰذا مولاه ـ يعني عليًّا ـ، والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه». ولمَّا أدرك شاعرنا الحديث عن موت الرَّسول ﷺ جَزَم أنَّ القوم بايع عليًّا عليه السلام، وجاء بنصوص من المصادر الأولى تُثْبِتُ ذلك، ولكنَّ عَلِيًّا عليه السلام أَبَى الخلافة بعد

مقتل عثمان، «وهجر داره إلى فضاء المدينة هَرَبًا مِن إلحاح النَّاس عليه»، ثم حكى شاعرنا الحِكاية كُلَّها كما وردت في المَصَادِر.

ثمَّ عاد إلى وصف المعارك، إلى معركة الجَمَل المَشْهورة، وأَتَانا بالتَّفاصِيلِ كما نعرفها مِن التَّاريخ الإِسلاميّ.

الذُّروة معركة صِفِّين والتَّحكيم، وأغراه غَزْوُ الشَّام، وجاء الخلاف مع معاوية. ويحكي شاعرنا كلَّ الحكاية: رَفْع المَصَاحِف، التَّحكيم وخُروج الخَوارج صوب أرضِ النَّهْرَوان.

وأخيرًا نَصِلُ إلى شهادة الإِمام عليه السلام وتتنزَّل على شاعرنا بقوله: «وأنا الوَفاءُ، وما سِوَايَ وفاء. ثمَّ لا حُكْمَ إلاَّ للإِلٰه». في هٰذه الشَّهادة يُبْدي جورج شكُّور الإِمامَ عليه السلام إنسانًا زاهدًا بالدُّنيا كلّها وبالسِّياسة بخاصَّة، ويَتُوقُ جَنَّةَ الفِرْدوس، ويظهر تواضعه بقول شاعرنا:

وَبِيَوم صِفِّينٍ مَحَوْتُ إمارتي
وهُمُ الَّذِينَ تَهُمُّهم أسماءُ

ثُمَّ يُعْلِيه وهو عنده العَليّ ٱسمًا ومُسَمًّى، ويجعله يقول:

وأَنا الضَّمير لِأُمَّتي، أَأَشُقُّها
أَنا مِنْ تَشَقُّقِ أُمَّتي لَبَراءُ

ثُمَّ يذكرٱغْتِيالَه، ويُنهي الملحمة كُلّها بهذا البيت:

شَهِدَ الضِّياءَ بِمَسْجِدٍ، وبِمَسْجِدٍ
كانت شَهَادَتُه وغاب ضِيَاءُ

مَلْحَمَة في عُمْقها مُغَنَّاة تجعل عَلِيًّا عليه السلام عند قارئها مَوْدُودَ القلب حارَّهُ، عالي الرُّوح، مَأْلوهًا.

* * *

مولدُ الإسلام

شُــقَّ الــجِــدارُ الــمُــسْــتَــجــارُ
وأَحــاطَ حُــرْمَــتَــكَ الــفَــخــارُ

الــكَــعْــبَــةُ الــزَّهــراءُ زاهِــيــةٌ
ولله اقْــــــتِــــــدارُ . . .

ودُعــاءُ فــاطــمــةٍ يُــجــابُ
عَــشِــيَّــةَ الــدُّنــيــا انــتــظــارُ

وَلَــدَتْــكَ فــي الــبَــيْــتِ الــحَــرامِ
وكــان مَــنْ شَــهِــدُوا وحــارُوا

اللهُ أكـــبـــرُ، يـــا عَـــلِـــيُّ
وُلِـدْتَ، والْـتَـحَـمَ الـجِـدارُ[1]!

---

(١) ولد عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه في الكعبة، ولم يولد فيها أحد غيره. أُمُّه فاطمة بنت أَسَد بن هاشم بن عَبْد مناف. وكانت بمثابة أُمِّ النَّبي ﷺ أيضًا، ولم يكن أبوه حاضرًا عند ولادته فَسَمَّتْه أُمُّه (حَيْدَرة)، ومعناها الأَسَد. وجاء أبوه عُقَيْبَ ذلك، فلم يَرْضَ عن هذا الاسم، وسمَّاهُ عَلِيًا.

عليّ والنبيّ

وَهَجُ الكَلامِ على الإمامِ إمامُ
لِجَلالهِ تَتَهيَّبُ الأقلامُ

عَلَمٌ يُتَوِّجُ أُمَّةً، ولِنَهْجِهِ
سامٍ على صَدْرِ البَيانِ وِسامُ

آتٍ مِنَ التّاريخِ، سِيرتُهُ غَدَتْ
رَمْزَ الهُدَى يَزْهُو بها الإعظامُ

شَهِدتْ لَهُ دُرَبُ البُطُولةِ والنُّهى
قَلَمٌ تأنَّقَ حالِيًا، وحُسامُ...

شَرَفُ الأُلَى نَسَلَتْهُمُ قِمَمُ العُلَى:
جَدٌّ على هَوْلِ الزَّمانِ هُمامُ

هو «شَيْبَةٌ لِلْحَمْدِ» يَذْكُرُ حَمْدَهُ
ماءٌ «بِزَمْزَمَ» يَشْتَهِيهِ أُوامُ[1]

وأَبٌ تَرَسَّل للرَّسُولِ، وصانَهُ
ورَعاهُ عَمًّا، وهو بَعْدُ، غُلامُ[2]

وَوَقاهُ شَرَّ المُشْرِكِينَ وكَيدَهُمْ
وأَذَى قُرَيشٍ، يومَ، كان يُضامُ

---

(١) شَيبة الحمد: هو لَقَب جدُّ الإمام علي عليه السلام لأبيه الذي حَفَر بئر زَمْزَم بعد رؤيا حَقّ رآها، واسمُه عبد المُطَّلب بن هاشم.

(٢) وأب ترسَّل: هو والد الإمام علي عليه السلام، أبو طالب الذي رَعَى الرَّسُول صلى الله عليه وآله، وربَّاه في داره، وهو لا يزال طفلًا.

وفَدُوا إليهِ يَشْتَكُونَ، فَرَدَّهُمْ
في الخائِبينَ يُذِلُّهُمْ إرْغامُ

فَرَنا إليهِ مُحَمَّدٌ، ورَوَى لهُ
وكَلامُهُ صافٍ، ولا إبْهامُ

واللهِ، لو قَبَضَتْ يَميني شَمْسَهُمْ
وَحَوَتْ يَسارِي البَدْرَ، وهْو تَمامُ[1]

لَمْ أَتْرُكِ الأَمْرَ الذي أَسْمُو لَهُ
وبِهِ سَيَقْضي العالِمُ العَلاَّمُ

أَوْ أَنَّني أَهْوِي، وأَهْلِكُ دُونَهُ
إنَّ الشَّهادة في الجِهادِ هُيامُ[2]

* * *

(١) كتاب البداية والنَّهاية، ابن كُثيِّر ص ٥٦.
(٢) الهُيام بالضَّمّ جنون الحُبّ.

وتَـنَـزَّلَـتْ مِـثْـلَ الـغَـمـامـةِ آيـةٌ
عُـلَـويَّـةٌ، إيـحـاؤهـا إلْـزامُ[1]

أَمَرَتْ أَنِ اصْدَعْ، يا مُحَمَّدُ، بالَّذي
يُـوحَـى إلـيـكَ، فـإنَّـهُ إلْـهـامُ

دَعْهُ ضَلالَ الـمُشْرِكينَ، ولا يَكُنْ
إلاَّ لِـنُـخْـبَـةِ قَـوْمِـكَ الإكـرامُ[2]

واخْفِضْ جَناحَكَ لِلأُلى اتَّبعُوا الهُدَى
هُـمْ مُـؤمـنُـونَ، وكُـلُّـهُـمْ هَـمّـامُ

* * *

---

(١) إشارة إلى الآية الَّتي نزلت على الرَّسول ﷺ وهي تقول: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

(٢) إشارة إلى الآية الَّتي تقول: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ * وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

فَدَعا إلى كُبْرى المآدبِ عُصْبةً
من أَرْبعينَ، وطابَ، ثَمَّ، طَعامُ[1]

أَكَلُوا مَلِيًّا، ثُمَّ هَمَّ بِخُطْبةٍ
حَفَزَتْ أَبا لَهَبٍ، فكانَ صِدامُ[2]

---

(١) إشارة إلى جمع محمَّد بني عَبْد المُطَّلب في دار أبي طالب ودعوتهم إلى الطَّعام.

(٢) بعدما أكل القوم، هَمَّ الرَّسولﷺ بإلقاء خُطبةٍ، وقبل أن يتكلَّم، بَدَره عمُّه أبو لَهَب بالكلام، وقال: لقد سَحَرَكم صاحبكم سِحْرًا عظيمًا. فلمَّا كان الغد دعاهم محمَّد إلى مثل ما دعاهم إليه بالأمس ثمَّ قال لهم: يا بني عبد المُطَّلب، إنَّ الله قد بَعَثني إلى الخَلْق كافَّةً، وبَعَثني إليكم خاصَّةً، فقال: ﴿وأنذرْ عشيرتك الأقربين﴾ وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللِّسان، ثقيلتين في المِيزان، شهادة أنْ لا إلٰه إلاَّ الله وأنِّي رسولُ الله، فمن يُجيبني إلى هذا الأمر ويؤازرني؟فقال عليّ عليه السلام:

فَنَزا، وهَبَّ مُقاطِعًا ومُمانعًا
لِيَقولَ: إنَّ مُحَمَّدًا هَدّامُ

هو ساحرٌ أَسَرَ الأَنامَ بِسِحْرِهِ
هو هائمٌ، وكَلامُهُ إيهامُ

فَتَفرَّقُوا عنه، ولكنْ في غَدٍ
عادُوا إليهِ، وما بِهِمْ إحْجامُ

أنا، يا رسول الله، وأناأَحْدَثُهم سِنًّا. وَسَكَتَ القوم. وزاد بعضهم في الرِّواية: . . . يَكُنْ أخي ووزيري ووارثي وخليفتي من بَعْدِي. فلم يُجِبْه أحدٌ منهم. فقام علي وقال: أنا، يا رسول الله. فقال له الرَّسول ﷺ: اجلس، فأنت أخي، ووزيري، ووَصِيِّي، ووارثي وخليفتي من بَعْدي. فلم يُجِبْه أَحَدٌ منهم. ثُمَّ أعاد القول على القوم ثالثًا فَصَمَتُوا. . . (السِّيرة).

طَعِمُوا كأَمسِ، فقامَ يَخْطُبُ وِدَّهُمْ
ويـقـولُ: أَدْعُـوكـمْ لَـدَيَّ كَـلامُ:

أَنْ لا إلٰـهَ سِـوَى الإِلـٰه، وإِنَّـنـي
أَنذا الرَّسولُ، تُرَى، الرَّسُولُ يُلامُ؟

مَنْذا يُناصِرُ دَعْوتي، ورسالتي؟
مَـنْـذا يُـؤازِرُنـي؟ أَنـا الإِسـلامُ

وأَعادَ دعوتَهُ ثُلاثَ، فلم يُجِبْ
أَحَـدٌ، فـلا نَـفْـيٌ ولا إقـدامُ

سَكَتَ الجميعُ سوى عليٍّ، هاتفًا
أنـا لـلـرَّسُـول مُـسـانِـدٌ ودِعـامُ

فإذا النَّبيُّ يَرُدُّ: إنَّكَ وارثي...
بَـيْـني وبَـيْـنَـكَ، يـا عَـلِـيُّ، ذِمـامُ

وَلَأَوَّلٌ يومَ الشَّهادةِ، والتُّقى
فإذا حَفِظتُ هَواكَ، طابَ مَرامُ

رنَّ الكلامُ بأُذْنِ ذي لَهَبٍ لَظَى
«تَبَّتْ يَداهُ»، واللِّئامُ لِئامُ

وتألَّبَ الحُسّادُ، يُضْمِرُ حِقْدُهُمْ
غَدْرَ النَّبيِّ، يَجُرُّهُم إجْرامُ[1]

---

(١) أجمع حسَّاد النَّبيِّ ﷺ على قتله فاختاروا من كلِّ قبيلة فتًى صِنْديدًا، ، ووجَّهُوهم إلى بيته لِيَفْتِكوا به، ليلًا، فيتفرَّق دمه في القبائل، وتعجز بنو هاشم عن الأخذ بثأره، ومعاداة القبائل جميعًا. وفي تلك الليلة قام علي عليه السلام بالتَّضحية الكبرى ليُمكِّنَ ابنَ عمَّه ﷺ من النَّجاة، فلَبِسَ بُرْد النَّبيِّ ﷺ، ونام على فِراشه، مُعرِّضًا نفسَه لِلموت الزُّؤام، وذلك منتهى الحبِّ والشَّجاعة.

فَتَرَصَّدُوهُ بَعْدَ مِيتَةِ عَمِّهِ
ذاكَ المَهِيبِ كأَنَّهُ الضِّرْغامُ

آذَوْا جُمُوعَ المُسْلِمِينَ، وعَذَّبوا
حتَّى الرَّسُولَ، فَضَجَّتِ الأَقْوامُ

حَشَدُوا القبائلَ حَوْلَ حُرْمَةِ دارِهِ
والجَوُّ أَرْبَدُ، والسَّماءُ جَهامُ

وَتقاسَمُوا دَمَهُ لِيَذْهَبَ باطِلًا
وتَضِيعَ بين قَبائلٍ أَقْسامُ

ودَرَى عليٌّ بالمَكِيدةِ، فانْبَرى
للتَّضْحياتِ، ومَنْ سِواهُ هُمامُ؟

نابَ الوَفِيُّ عنِ النَّبيِّ مُسَرْبَلًا
بِرِدائِهِ، ويَحُوطُه الإِبْهامُ

أَمْسَى يُسامِرُ طَيفَهُ في دارِهِ
أَيَنامُ، حَشْوُ فِراشِهِ الأَلْغامُ؟!

يَفْدِيهِ بالأَغْلَى، بِعِزِّ شَبابِهِ
لِتَعِزَّ دَعْوةُ دِينِهِ، وتُدامُ

* * *

وَيلُوحُ صُبْحٌ بالبَشائِرُ مُشْرِقٌ
وَيَزُولُ عن جَفْنِ العَلِيِّ حِمامُ

فَيُطِلُّ أَعْزَلَ، لا سِلاحَ بِكَفِّهِ
طَلْقَ المُحَيّا، ثَغْرُهُ بَسّامُ

وَيَرُدُّ لِلنّاسِ الوَدائعَ كُلَّها
رَدُّ الأَمانةِ واجِبٌ ولِزامُ

فـبِـذاك قـد أَوْصَـى الـنَّـبـيُّ وَصِـيَّـهُ
إنَّ الـكـبـيـرَ لِـقَـومِـهِ خَـدّامُ

وتَـرُوعُـهُـمْ تـلـك الـشَّـجـاعـةُ والـوَفـا
يَـتَـفـرَّقُـونَ، وتَـسْـقُـطُ الآثـامُ

* * *

رحلة علي إلى يثرب

وَسَرَى عليٌّ إلى النَّبيِّ بِيَثْرِبٍ
وفؤادُهُ بالمَكْرُماتِ عُرامُ[1]

يَمْشِي وَحِيدًا في الهَجيرِ مُشَرَّدًا
تَنْتابُهُ العَقَباتُ والأَوْهامُ

---

(١) لم يبق لعليّ عليه السلام بمكَّة مقام بعدما أنفذ ما أوصاه به محمَّد صلى الله عليه وآله، ورَدَّ للنَّاس ودائع كانوا قد ٱئتمَنوا عليها النَّبيّ صلى الله عليه وآله، فقام يسعى على دَرْب يثرب، يسبقه إليها شوقه ويعاني من لفح الهَجير والزَّمهرير، ولم يكنْ له مركب ولا ظهر إبل.

ويَتيهُ في الصَّحراءِ مُلْتَبِسَ الخُطَى
في حيثُ لا أَثَرٌ، ولا أَقْدامُ

وإذا يَنامُ، فلا فِراشَ يَضُمُّهُ
فوقَ الرِّمالِ، كما تَنامُ نَعامُ

لا شيءَ يُؤنِسُهُ، ويَطْرُدُ هَمَّهُ
إلاَّ الصَّلاةُ، وَوَقْعُها أَنْغامُ

حتَّى إذا بَلَغَ المدينةَ سالِمًا
وبَدا النَّبيُّ، وحُطِّمَتْ أَصْنامُ

أَخَوينِ باتا في الإِلٰه، كِلاهُما
بِهَوى أَخيهِ مُولَعٌ تَمْتامُ

وهُناكَ في العَمَلِ الدَّؤوبِ يَرُوقُهُ
غَرْسُ النَّخيلِ، وتَبْسِمُ الأَيّامُ

ما حَلَّ ضَيفًا أَو تَمَلَّق صاحبًا
فالأرضُ طَيِّبةٌ بها إنْعامُ

كَفٌّ تُخَطِّطُ في الصَّحاري واحةً
وتَخُطُّ وَحْيًا، والنَّبِيُّ هِيامُ[1]

«العِلْمُ مَمْلَكةٌ عليٌّ بابُها»
ونُهَى النَّبيِّ مَعارِفٌ ونِظامُ[2]

بُورِكْتِ، يَثْرِبُ، مَوْئلًا لِمُهاجِرٍ
فيكِ الحياةُ أُخُوَّةٌ ووِئامُ

* * *

(١) كان عليّ عليه السلام من أعظم كَتَبة الوَحْي عند النَّبيّ عليه السلام.
(٢) إشارة إلى قول النَّبيّ عليه السلام: أنا مدينة العلم وعليّ بابها. (عبد المقصود).

معركة بدر

ويُطِلُّ من «بَدْرِ» المعاركِ بَدْرُها
بَطَلُ الحِمَى، وحُسامُهُ الصَّمْصامُ

«لا سَيْفَ إلاَّ ذو الفَقارِ، ولا فَتًى
إلاَّ عليٌّ»، وسَيْفُهُ الجَزّامُ[1]

ضَرّابُ أَعْناقٍ، وحامِلُ رايةٍ
والمُسْتَحَبُّ متى تَهُبُّ ضِرامُ

---

(١) ذو الفَقار هو لقب سيف النَّبيّ ﷺ الَّذي أهداه إلى عليّ عليه السلام، وهو الَّذي قال فيه القائل: «لا سيفَ إلاَّ ذو الفَقار ولا فتًى إلاَّ عليّ».

مَنْ «حَنْظَلٌ»، و«ٱبْنُ السَّعيد»[1] لَدَى الوَغَى؟
ومَنِ «الوَليدُ»؟ جميعُهُمْ أَرْقامُ

فَعَليٌّ بَطّاشٌ يَجُذُّ رؤوسَهُمْ
جَذَّ السَّنابلِ، ليس تَسْلَمُ هامُ

وتَظَلُّ رايتُهُ «العُقابُ» ظَليلةً
يَخْشَى ظَلامَ سَوادِها الظُّلّامُ

يا «بَدْرُ»، يا بَدْءَ الجِهادِ بأُمَّةٍ
كانت تَهُبُّ متى يَحُومُ حِمامُ

* * *

(١) حنظل، وابن السَّعيد، والوليد فُرسان حاربوا في معركة بَدْر، وبَطَش بهم الإمام عليّ عليه السلام.

زواج عليّ

مِنْ بَعْدِ «بَدْرٍ»، ها عليٌّ قاصدًا
بيتَ الرَّسولِ، يَلُفُّه الإِظْلامُ[1]

---

(١) جاء عليّ يخطب فاطمة عليها السلام من أبيها ﷺ، ولكنَّه ما بلغ الباب حتَّى أخذته الرَّهْبة، فقد ذكر أنَّ أبا بَكْر جاء رسول الله ﷺ يطلب منه فاطمة، فلم يَفُزْ منه بغير أن أجاب: أنتظر بها القضاء. وكذلك كان جَواب النَّبيّ ﷺ لِعُمَر. وبعد تردُّد كثير دخل عليٌّ عليه السلام على مُربِّيه وابن عمِّه ﷺ. فقال له النَّبيُّ ﷺ باسمًا: ما حاجة ابن أبي طالب؟ فغالب الفتى حياءَهُ هُنيهةً ثُمَّ أجاب: ذكرتُ فاطمة، يا رسول الله. فقال له النَّبيّ ﷺ: «مَرْحبًا وأهلًا». بهذا اليُسْر تمَّت خطبة عليّ عليه السلام وبمثْله وأيسر منه تمَّ زواجه الَّذي كان أغلى أمنيات الحياة عنده.

تَتَلَجْلَجُ الأَلْفاظُ عَبْرَ لِسانِه
ويكادُ يَعْقِدُ قَوْلَهُ الإِعجامُ

فَتَوسَّمَ الخيرَ الرَّسولُ، مُسائلًا:
ما تَبْتغي، في لَحْظِكَ ٱستفهامُ؟

فأَجابَ: فاطمةٌ ذَكَرْتُ وفاءَها
وكَمِثْلِها لم يَرْسُمِ الرَّسّامُ

ـ أَبْشِرْ، عليُّ، ومَرْحبًا، أهلًا، فما
بِسِواكَ أنتَ تَواصَلُ الأَرْحامُ

* * *

وحمل الفتى درعه الَّتي أفاءتها عليه بَدْر فباعَها في سوق المدينة بدراهم دفعها إلى رسول الله ﷺ مَهْر ابنته. (عبد المقصود).

حَمَلَ الفتى دِرْعًا لَدَيْهِ وباعَها
فالدِّرعُ مَهْرٌ، ما سِواهُ قِوامُ

وزَها الزِّفافُ رِضًى بأَيْسَرَ ما ٱنتهى
أَمْرُ الزِّفافِ، وتَمَّتِ الأَحلامُ

وتَرَنَّحت دارُ النَّبيِّ بِصَحْبها
وَحَكى النَّبيُّ كما ٱقتضاهُ مَقامُ:

زوَّجْتُ فاطمةً كما أَمَر الهوى
وبأَمْرِ رَبِّي تُبْرَمُ الأَحكامُ

بالدِّرعِ قد أَوْفَى عليٌّ صِداقَها
أنا بابن عَمِّي يَكْرُم الأَعْمامُ

معركة أُحُد

في غَزْوة أُحُد خرج أبو سفيان وزوجه هند بجيش خليط من القُرَشيِّين والحلفاء والأَحابيش، وساروا بالقِيان، وبالدُّفوف والمعازِف والخُمور والبَغايا.

. . . برز طَلْحة ـ وهو زعيم بني عبد الدّار، حاملي لواء يوم أُحُد ـ مُدِلاً بالبُطولة والفروسيَّة، يدعو نظائره من رجال المسلمين إلى المبارزة، فأسرع إليه ابن أبي طالب عليه السلام مُسْتجيبًا لِدَعوته في غير ما صَلف ولا كِبرياء، وما هي إلاَّ لَمعة سيفٍ في ضوء الشَّمس حتَّى لَقِيَ ذلك المُدِلُّ المُغْتَرّ رَجْفةَ الموت على يد الشّابِّ الحَيِيّ المتواضع. ثمَّ بَرَزَ أخوه عثمان يلقف الرّاية الَّتي تفلَّتت من بين أصابع أخيه المُجَنْدَل الصَّريع، فما هَمَّ حتَّى

بَطَشَتْ به يَدُ القَسْورة (حمزة) ولمّا آن لِثالث الإِخوة من بني عبد الدّار وقت حَيْنِه، رماه قدرُه هو الآخر فريسةً سهلة المَنال في يد علي عليه السلام، فأَصْماهُ ولمّا يَكَدْ، لأنَّ حِرْص ابن الدّار على بقيَّة أنفاس الحياة الَّتي كانت تتردَّد في صدره جعله يَفِرّ بجُرحه المُميت من وجه البَطل، مُتَّخِذًا مِنْ عَوْرته دِرْعًا يَكُفُّ عَلِيًّا عنه ويَقِفُ له دون الإِجهاز عليه. (عبد الفتّاح عبد المقصود).

وخالفَ الرُّماة أمر النَّبي صلى الله عليه وسلم يوم أُحُد إذْ أمَّر عليهم عبد الله بن جُبير، وقال: انْضَحِ الخيلَ عنّا بالنَّبْلِ، واثْبُتْ مكانَكَ، إن كانت لنا أو علينا.

وانهزمَ المُشْركون في بَدْءِ الوقيعة أيَّ انهزام، وولَّوا لا يَلْوُون على شيء رغم تحريض هند زوج أبي سفيان ومن أحاط بها من النِّساء والقِيان، يَضْرِبْن بالدُّفوف قائلات:

نحن بناتُ طارِقْ نَمْشي على النَّمارِقْ مَشْيَ القَطا النَّوازِقْ
والمِسْكُ في المَفارِقْ والدُّرُّ في المَخانِقْ إن تُقْبلوا نُعانِقْ
ونَفْرُشِ النَّمارِقْ أو تُدْبِروا نُفارِقْ فِراقَ غيرِ وامِقْ

ولمّا رأى الرُّماة انهزام المُشْركين، فارَقُوا مَحلَّهم الَّذي أمَرَهم النَّبي ﷺ ألاَّ يُفارقوه، ونهاهم أميرهم عبد الله بن جُبَير، فلم يَنْتَهُوا، وأقبلوا يَسْتَلِبُون الغنائم ويَنْتهبون. فنظر خالد بن الوليد، وكان قائد فرسان المُشْركين في ذلك اليوم، إلى خلُوِّ الخيل من الرُّماة، فكَرَّ بالخيل كَرَّة السَّيْل، وقتل من بَقِيَ من الرُّماة مع أميرهم عبد الله. ودخلت خيُول المُشْركين جيش المسلمين، وهم آمنون، فحدثت البَلْبَلة الكبرى، وانتفضت صفوف المسلمين، وصار يضرب بعضهم بعضًا، وكانت كارثة أُحُد، وهي الوقيعة الوحيدة الَّتي دارت فيها الدَّوائر على أصحاب النَّبيِّ ﷺ، فكانت الهزيمة الأولى والأخيرة.

(عن السِّيرة، بتصرُّف)

... وجُرح النَّبي ﷺ بضربة حجر، فظَنَّه أعداؤه، قد مات، فَسُرَّ لهذا الخبر أبو سفيان وزوجه هند، وفَرِحَت بالنَّصر، ولكنَّ عينيها وَقَعتا في جانب المَيدان على منظر حَزَّ في قلبها ثانيةً: لقد رأت حمزة بن عبد المطَّلب رضي الله عنه أَسَد الله وأسد رسوله يمزِّق

المئات من رجالها، وهو في قامته المديدة يتميَّز عن سائر مَنْ حَوْلَهُ، ولو من بعيد، وهو المعروف بحُسْنِ سِمَته، وأناقةِ ثوبه، وهو المُعْلَمُ دائمًا بريش النَّعام في صدره أو على قَلَنْسُوته، ونظرت في من حَوْلَها، فرأت عبدًا حَبَشِيًّا يدعى وَحْشي، يحمِل حَرْبة مَسْمُومة يطعن بها من بعيد على عادة الحَبَشة، فدَعَتْه إليها، وصاحت به وَيْهًا (أبا دسمة) إنَّك تقذِفُ برُمحك قَذْفَ الحبشة ولا تخطئ. فاعتدل في وقفته، وهَزَّ الحَرْبة حتَّى إذا لاحت له فرصة انكشاف بطن حمزة الَّذي تَعَثَّر بجُثث القتلى، دفعها فوقعت في أحشاء البطل، فسقط مُجَنْدَلًا على الحضيض. فهجمت هند على الجثَّة، واستلَّت خنجرًا أغمدتْه في الجَسَد الطَّريح تُمثِّل به أشْنعَ تمثيل... ثمَّ بَقَرَت بطن حمزة رضي الله عنه، وأخذت كَبِده النّابضة بالحياة، بعدُ، ووضعتها في فمها، فلم تُسِغْها، فلفَظتها، ثمَّ مَرَّ بالجُثَّة زوجها أبو سفيان، فشَمِت بحمزة، وهَزَّ رمحه في يده، هنيهة مُدِلاًّ، مستعزًّا، وتقدَّم فضرب به في شدق الجُثَّة قائلًا: «ذُقْ عَقَقَ ذُقْ عَقَق!»، ومَرَّ به في تلك اللَّحظة حليفه سيِّد الأَحابيش (الحليس)، فاستنكر نَذالة أبي سفيان

وقال: «سَيِّد قُريش يصنع بابن عمِّه ما أرى لحمًا؟» فكاد يسقط الرُّمح من يد صخر لما اعتراه من خجل، فقال متخابثًا مُتوَسِّلًا لِسَيِّد الأحابيش: «اكتمْها عليَّ فقد كانت زَلَّة».

(عبد الفتّاح عبد المقصود، بتصرُّف)

معركة أُحُد

مِـنْ يـوم «بَـدْرٍ» بـادَرَتْ أَشْـجـانُ
وعَـرَى قُـلُـوبَ الـمُـشْـرِكـيـنَ هَـوانُ

فَـغَـزا «أبـو سُـفْـيـانَ» أَسْـفَـلُ حـاسـدٍ
«أُحُـدًا» يُـواكِـبُ رَكْـبَـهُ الـعُـدْوانُ

«هِـنْدُ» الـفُـجُورِ، ويـا لَـهـا من زَوْجَةٍ!
لـلـشَّـرِّ يُـشْـعِـلُ قَـلـبَـهـا الـشَّـيـطـانُ

تَـهْـجُـو الـنَّـبـيَّ بِـلَـهْـجَـةٍ لَـذّاعـةٍ
تَـفْـرِي الـصُّـخُـورَ لَـوَ انَّـهـا صَـوّانُ

* * *

ومَشَتْ «قُرَيْشٌ»، خَلْفَها حُلَفاؤها
الأَحْباشُ، والأَوْباشُ، والأَعْوانُ[1]

جَيْشٌ تَطاوَلَ في المَفاوِزِ زَحْفُهُ
وبِهِ عَواهِرُ جَمَّةٌ وقِيانُ

تُغْري مَفاتِنُها المِلاحُ مُثيرةً
لِلثّائرينَ، فَيَفرِسُ الفُرْسانُ

وأَغار «عَبْدُ الدّارِ» يَحْمِلُ رايةً
لِلمُشْرِكينَ، هُتافُهُ عَلْيانُ[2]

يَدْعُو الفَوارِسَ لِلْبِرازِ مُزَمجِرًا
وكَذاكَ «طَلْحةُ» غَرَّهُ الطُّغْيانُ

---

(١) الأَوباش: سِفْلة النَّاس وأخلاطهم.
(٢) عبد الدَّار: أحد فرسان المُشركين.

لِيُثيرَ جَمْعَ المُسْلِمينَ تَحَدِّيًا
ما رَدَّهُ حِلْمٌ ولا حِسْبانُ

* * *

وإذا «عليٌّ» يَلْتقيهِ بِضَرْبةٍ
وكَفَتْ، فَفارقَ قَلْبَهُ الخَفَقانُ

وتَلاهُ كَرّارًا ومُثَّئرًا لهُ
فَقَضى كَمِثْلِ شَقيقِه «عُثْمانُ»

وارْتاعَ ثالِثُهُم لِطَعْنَةِ قادرٍ
أَكْرِمْ «بِحَمْزَةَ»[1]، إنَّهُ طَعّانُ!

وَيكادُ يُرْدِيهِ «عليٌّ» بِسَيفِهِ
لولم تَرُعْهُ عَوْرَةٌ، وتُبانُ

---

(١) حمزة: هو عمُّ النَّبيِّ ﷺ وبطل من أكبر الأبطال.

وتَبارَزَ الجَمْعانِ حتَّى أُزْهِقَتْ
أزْهَى النُّفُوسِ، وطُوِّحتْ أَبْدانُ

وتَكَشَّفَ النَّقْعُ المُكَثَّف، وانْجَلَتْ
عن نَصْرِ مَنْ نَصَروا النَّبيَّ، وصانُوا

لكنَّ مَنْ نَسِيَ النَّصيحةَ، واشْتَهى
طَعْمَ الغَنائمِ مَسَّهُ الخُسْرانُ

* * *

ورَنا إلى عُلْيا المَشارِفِ «خالِدٌ»
لا أَسْهُمٌ فيها، ولا مُرّانُ[1]

---

(١) هو خالد بن الوليد البطل الشَّهير، وكان بين أعداء النَّبيّ ﷺ من المُشْركين.

تَـرَكَ الـرُّمـاةُ مكـانَـهُـمْ، وتَسـابـقـوا
صَـوْبَ الـمَسـالِـبِ[1]، قَـلْـبُـهُـمْ لَـهْـفـانُ

وغَـدَتْ لِـخَـيْـلِ الـمُـشْـرِكـيـنَ مَـسـارِبٌ
والـمُـسـلـمـونَ أَصـابَـهُـمْ خِـذْلانُ

وَسَـرَتْ خِـلالَـهُـمُ إشـاعـةُ كـاذبٍ:
أَنَّ الـنَّـبـيَّ قَـضَـى، وهـانَ رِهـانُ

وتَـخَـوَّفَـتْ «هِـنْـدُ الـحَـرامُ» وزَوْجُـهـا
مـن سَـيْـفِ «حَـمْـزَةَ» عَـلَّـهُ عَـطْـشـانُ[2]

يُـرْدي بِـمُـفْـرَدِهِ الأُلُـوفَ، فـإنْ بَـدا
حَـصَـدَ الـصُّـفُـوفَ، وزُلْـزِلـتْ أَرْكـانُ

---

(١) المَسالب: جمع مَسْلَبة، وهي أماكن السَّلْب.
(٢) حمزة رضي الله عنه: عم النَّبيِّ ﷺ وهو من أروع الأبطال وأكثرهم سَطْوة وبطولة.

أَوْمَتْ إلى «الحَبَشِيِّ»: يَطْعَنُ «حَمْزةً»
فَرَماهُ، فاخْتَرَقَ الفؤادَ سِنانُ

فَهَوَتْ عليه، وَهْيَ تُغْمِدُ خَنْجَرًا
بفُؤادِهِ، وفُؤادُها حَرّانُ

تَسْتَلُّ كِبْدًا، كالكِلابِ تَنُوشُها
وَيَمُجُّ حِقْدًا قَلْبُها الكَلْبانُ

* * *

وبَكَى النَّبيُّ دَمًا لِمَصْرَعِ «حَمْزَةٍ»
دَمْعُ النَّبيِّ على الأَسَى هَتّانُ

ورَثاهُ أَجْمَلَ ما يُصَوِّرُ شاعِرٌ
وحَباهُ أَنْبَلَ ما حَواهُ جَنانُ:

يا عَمُّ، ما خَطْبٌ بأَوْجَعَ مِ الَّذي
أَرْداكَ، فانْتحبَتْ عليكَ جِنانُ

قد كُنْتَ تَملأُها العُيُونَ، فما لَها
ضاقت بِعَيْنِي، بَعْدَك، الأَكوانُ؟!

يا فاعِلَ الخَيراتِ، يا أَمَلَ السِّوَى
وَعزاءَهُمْ، إنْ عَزَّتِ الإِخوانُ

لولا عليٌّ في البُطولةِ والنُّهَى
ما قُلْتُ تُطْلِعُ مِثْلَكَ الأَزْمانُ

ما لي سِوَى الصَّبْرِ الجميلِ مُناصِرٌ
الصَّبْرُ في الجُلَّى كما الإِيمانُ

* * *

وبَكَتْ «بِيَثْرِبَ» كالأَنامِ مَنازِلٌ
كُبْرى الخَسائرِ ما لَها نِسْيانُ

الجيشُ عادَ، وليس عَوْدةَ ظافِرٍ
وَغدا يُحاسِبُ نَفْسَه الخِذْلانُ

بَعْضُ الجُنُودِ تَقُودُهُم رَغَباتُهم:
غِيدٌ تَغُرُّ، وأَصْفَرٌ رَنّانُ...

معركة الخندق

وَغْـدٌ تَـمَـرَّسَ بـالـعَـداوةِ، مُـعْـرِقُ
يُـغْـرِي الـجُـيُـوشَ بِـمـا يَـجُـودُ ويُـغْـدِقُ

تـتـآلَـفُ الأَحْـلافُ تَـحْـتَ لِـوائِـهِ
كَـرَوافِـدِ الأَنـهـار حـيـنَ تَـدَفَّـقُ

زَحْـفٌ بِـهِ صَـخَـبٌ وقَـصْـفُ زَمـازمٍ
إنْ فَـيْـلَـقٌ وَلَّـى، تَـأَلَّـقَ فَـيْـلَـقُ

والـخَـيْـلُ مُـطْـلَـقَـةُ الـعِـنـانِ رَشـيـقـةٌ
وأَوانَ تُـكْـبَـحُ تَـشْـرَئِـبُّ وتَـعْـنَـقُ

هـذا «أَبـو سُـفْـيـانَ» أَقْـبَـلَ حـاقِـدًا
يَـعْـدُو عـلـى جـيـشِ الـنَّـبـيِّ ويُـطْـبِـقُ

قـال الـنَّـبـيُّ، وفـي الـمَـقـالـةِ حِـكْـمـةٌ
لاتَـبْـدأُوا الـحَـرْبَ الـحَـرامَ، بلِ اتَّـقُـوا

ومَـضَـى يُـشـاوِرُ صَـحْـبَـهُ، مُـتـأَمِّـلًا
ومَـنِ اسـتـشـارَ مُـجَـرَّبًـا لا يُـخـفِـقُ

فـأَشـار «سَـلْـمـانُ» عـلـيـهِ بِـخَـنْـدَقٍ
فبِأرضِ «فارسَ» كان يُحْفَرُ خَنْدَقُ[1]

---

(١) تسمَّى غزوة الخندق غزوة الأحزاب أيضًا لأنَّ أبا سفيان جمع الأحزاب على النَّبيِّ ﷺ فحالف اليهود، واستجابت لندائه بنو فِزارة وسليم، وبنو النُّضير، وأشْجَع، وغَطفان، وبنو أسد وخُزاعة، وأخلاط النَّاس... ولما دَرَى النَّبيّ ﷺ بما يُبَيِّته أعداؤه، دعا أصحابه وأخبرهم خبر عدوِّهم، وشاوَرَهُم في الأمر،

إن خِيفَ من خَيْلٍ تَرُودُ ديارَهُمْ

فَمَعَ الشَّجاعةِ يُسْتَطابُ المَنْطِقُ

فَتَعَشَّقَ القَوْلَ الرَّسُولُ، مُنَفِّذًا

وكَذاك يَفْعَلُ مَنْ يَتُوقُ ويَعْشَقُ

وأَتَتْ جُيوشُ المُشْرِكين، وأَوْشَكَتْ

تَهْوِي بذيّاكَ الحَفِيرِ، وتَغْرَقُ

فأشار عليه سَلْمان الفارسيّ، قال: إنَّا كُنَّا بأرض فارس إذا تخوَّفنا الخيل خَنْدَقْنا علينا فاستحسن الرَّسُول ﷺ وصحبه هذا الرَّأي وعمد إلى حَفْر الخندق... وفي هذه الغزوة قال النَّبيّ ﷺ: الجنَّة تحت ظلال السُّيوف... وفي غزوة الأحزاب هذه أو غزوة الخندق ٱنْبرى عمرو بن ودٍّ العامريٌّ لِلْبِراز، وتحدَّى المسلمين، فقام عليّ عليه السلام، فقال: أنا يا نبيَّ الله ﷺ. فقال له: ٱجلسْ إنَّه عمرو بن عبد ودّ.

لكنَّها الْتَمَسَتْ هُنالكَ ثُغْرَةً
فَتَسَلَّلتْ، وبها مَجالٌ ضَيِّقُ

وأَطَلَّ عَمْرو العامِرِيُّ مُناديًا
مَنْذا يُبارِزُ؟ مَنْ يَهُبُّ وَيَسْبِقُ؟[1]

---

(١) ثم كرَّر عمرو النِّداء وجعل يوبِّخ المسلمين، ويقول: أين جنَّتُكم الَّتي تَزْعمون أَنَّه من قُتِل منكم دخلها؟... فقام عليّ عليه السلام، فقال: أنا لهُ، يا رسولَ الله، فقال: إنَّه عمرو بن ودّ، فقال: وإذا كان عمرًا. فأذِنَ له النَّبيُّ صلى الله عليه وآله، وأعطاهُ سيفه ذا الفقار وألْبَسه دِرْعَه الحديد، وعَمَّمَه بعمامته، وقال: اللَّهُمَّ أَعِنْهُ عليه. هذا أخي وابن عمِّي، فلا تذَرْنِي فردًا وأنت خير الوارثين... ومشى عليّ عليه السلام إلى خصمه فقال عمرو: يا ٱبن أخي، ما أُحبُّ أن أقتلك. فقال علي عليه السلام: ولكنَّني، والله أُحِبُّ أَن أقتلك، فحَمِي عمرو عند ذلك... فغضب، فاقتحم عن فرسه، وسَلَّ سيفًا كأنَّه شعلة نار، فعقَر فرسه، وضرب وجهه، وأقبل على

وأَعادَها لِلْمُسْلمينَ تَحَدِّيًا

مُتَمادِيًا، والكُلُّ مُصْغٍ، مُطْرِقُ

فأَبَى عليٌّ أَنْ تَحُلَّ جَبانةٌ

في جَيْشِهِ، وبهِ فؤادٌ يَخْفِقُ

هَتَفَ النَّبِيُّ بهِ يَرُدُّ مُحَذِّرًا:

إنَّ ٱبنَ وُدٍّ للبُطُولةِ بَيْرَقُ

فَسَما عليٌّ، وقال لَسْتُ أَهابُهُ

أَنا بالرُّجُولةِ والبُطُولةِ أَخْلَقُ

عليّ عليه السلام فاتَّقاهُ بدرقته، فضربه عمرو فيها، فقدَّها، وأَثْبتَ فيها السَّيف فشجَّه. فَضَربَه عليّ عليه السلام على حَبْل عاتقه فسقط وكبَّر المسلمون فعرف الرَّسول صلى الله عليه وآله أنَّ عَليًّا قَتَل عَمرًا. فقال: إنَّ قتل علي لعمرو أفضل من عبادة الثَّقَلين (السِّيرة، بتصرُّف).

وٱستأْذَنَ البَطَلُ الرَّسُولَ تأهُّبًا
لِنِزالِ مَنْ يَفْرِي الرِّجالَ ويَفْلِقُ

أَذِنَ الرَّسُولُ، وقد حَباهُ دِرْعَهُ
ومُهَنَّدًا هو ذو الفَقار المُؤْنِقُ

وعِمامةً تُدْعَى «السَّحابَ» عظيمةً
ودعا له، وفُؤادُهُ يَتَحرَّقُ

حَذَرًا عليه، فَذاكَ أَخْطَرُ مَوْقِفٍ
الخَصْمُ جَبّارُ العَزيمةِ مُرْهِقُ

وَمَشَى إليهِ عليٌّ مِشْيَةَ واثِقٍ
وبِكَفِّهِ سَيْفُ المَنِيَّةِ يُشْرِقُ

مُتَذكِّرًا قَوْلَ الرَّسُولِ، مُفاخِرًا:
ظُلَلُ السُّيُوفِ بها الجِنانُ تَأَلَّقُ

وتَـلاسَـنـا ، وتَـبـارَزا ، وتَـسـايَـفـا
والـدَّمُّ سـالَ كَـمِـثْـلِ نَـهْـرٍ يُـهْـرَقُ . . .

أَرْدَى عـلـيٌّ بِـضَـرْبَـةٍ قَـتّـالـةٍ
بَـطَـلًا ، لِـطَـلْـعَـتِـهِ الـمَـشـارِقُ تَـشْـهَـقُ

وعَـلا هُـتـافٌ مِـنْ جُـيُـوش مُـحَـمَّـدٍ
اللهُ أَكْـبَـرُ ، لِـلـرُّجُـولـةِ رَوْنَـقُ !

الـدِّيـنُ حِـصْـنُ اللهِ ، فـاعْـتَـصِـمُـوا بِـهِ
واللهُ يَـنْـصُـرُ مَـنْ يَـشـاءُ ويَـرْزُقُ . . .

معركة خيبر

كانت بِخَيْبَرَ لليَهُودِ مَعاقِلُ
فيها حُصُونٌ كالجِبالِ تَخايَلُ[1]

وبها تُدَبَّرُ للنَّبيِّ مَكايدٌ
وتُحاكُ أَشْراكٌ لَهُ وحَبائلُ

---

(١) كانت خَيبر مَعْقِل اليهود في الحجاز، وهي ذات حصون وقلاع، أشهرها حصن (ناعم)، وكانت تيَّاهة فخورة بحصونها، وفيها تُحاك المؤمرات على النَّبيّ وأصحابه... دعا النَّبيّ ﷺ عليًّا عليه السلام، وهو أَرْمَدُ، فتَفَل في عينيه، فشُفِيَ للحال، ثمَّ قال: خُذ هذه الرَّاية فامضِ بها حتَّى يفتح الله عليك. وقد ألبسه دِرْعه الحديد وشدَّ ذا الفَقار في وسطه، فخرج عليٌّ عليه السلام

ومُـؤامَـراتٌ تَـشْـتَـهـيـهِ وصَـحْـبَـهُ

ومَـخـاتِـلٌ يَـسْـعَـى بِـهِـنَّ أَسـافِـلُ

هَـتَـفَ الـنَّـبـيُّ بِـصَـحْـبِـهِ: هُـبُّـوا، فـقـد

حـانَ الـجِـهـادُ، ولـلـجِـهـادِ فَـضـائـلُ

قُـمْ، يـا عَـلِـيُّ، فـأَنـتَ سَـيِّـدُ يَـعْـرُبٍ

مـا قـامَ مِـثْـلَـك فـي الـقـتـال مُـقـاتِـلُ

يُهرول حتَّى ركَّز الرَّاية تحت الحصن، وأوَّل من خَرَج إليه من الحصن الحارث أخو مَرْحب وكان شجاعًا، فانكشف المسلمون وثَبَتَ عليّ عليه السلام، فتضاربا فقُتِل الحارث، ثمَّ خرج إليه مَرْحب وحمل على عليّ عليه السلام فضربه، فطرح تُرْسَه من يده، فتناول عليٌّ عليه السلام بابًا كان عند الحِصن، فَتَتَرَّس به عن نفسه، فلم يَزَلْ في يده، وهو يُقاتل حتَّى فَتَحَ الله عليه الحِصْن، ثمَّ أَلْقاه وراء ظهره ثمانين شِبْرًا. (السِّيرة).

«جِبْريلُ» يَخطِرُ عن يَمينكَ ناصرًا
وبكَفِّه سَيْفُ المنيَّةِ ماثِلُ[1]

سَتَفُوزُ بالجَنّاتِ شُرِّعَ بابُها
إنِّي لِفَوزِكَ بالجِنانِ لَكافِلُ

أَهْواكَ وَحْدَك أَنْتَ تَحْمِلُ رايةً
في حَمْلها، مِنْ قَبْلُ، أَخْفَقَ حامِلُ

ما رابَني رَمَدٌ بِعَيْنِكَ عائقٌ
رَمَدُ العُيُونِ، إذا لَمَسْتُكَ، زائلُ

فغدًا، تَكُرُّ، ولا تَفِرُّ، مُناضِلًا
وأَتَى غَدٌ، فَمَضَى «عليٌّ» يُناضِلُ

---

(١) هو أحد الملائكة المقرَّبين إلى الله، ومنه تلقَّى الرَّسول رسالته.

مُـتَـقـلِّـدًا دِرْعَ الـنَّـبـيِّ وسَـيْـفَـهُ
والـنّـائـبـاتُ مَـواثِـلٌ، وغَـوافِـلُ

بَـلَـغَ الـقِـلاعَ، وشَـكَّ رايـةَ جَـيْـشِـهِ
بِـجِـوارِ حِـصْـنٍ حَـصَّـنَـتْـهُ جَـحـافِـلُ

وهُـنـاكَ قـامَ، فـكـان أَوَّلَ خـارجٍ
مِ الحِصْنِ ذاكَ «الحارِثُ» المُتَطاوِلُ

أَرْداهُ تَـوًّا ذو الـفَـقـارِ، وشَـقَّـهُ
قِـطـعًـا كـمـا شَـقَّ الـجِـبـالَ زَلازِلُ

وتَـلاهُ مَـزْهُـوًّا أَخُـوهُ، مُـبـارزًا
هُوَ «مَرْحَبٌ» في النّائبات حُلاحِلُ[1]

---

(١) حُلاحل: سَيِّد في عشيرته.

وعَدا علـى تُـرْسِ الـعَـلـيِّ بـضَـرْبـةٍ
طَرَحَتْهُ أَرْضًا . كيف، بَعْدُ، يُنازِلُ؟!

فـاْسْتَلَّ بـابَ الـحِـصْـنِ تُـرْسًـا مـانِـعًـا
فَـوَقـاهُ ذاكَ الـبـابُ، وهُـوَ يُـقـابِـلُ

طَـعَـنـاتِ مَـنْ يَـهْـوَى مُـنـازَلـةَ الَّـذي
بِـسِـلاحِـهِ نَـزَلَ الـقـضـاءُ الـنّـازِلُ

وقَـضَـى عـلـيٌّ عـلـيـه، وانْـفـتـحـت لَـهُ
الأَبْوابُ، والـحِـصْـنُ الـمُـحَـصَّـنُ ذاهِـلُ

هُـزِمَـتْ جُـيُـوشُ الـمُـشْـرِكـيـنَ بِـخَـيْـبَـرٍ
ظَـفِـرَ الـنَّـبـيُّ، وكـان نَـصْـرٌ حـافِـلُ

يوم الغدير

حَجَّ الرَّسُولُ، فيا ركائبُ، سِيري
حَجَّ الوَداعِ، وكان يَوْمُ «غَدِيرِ»[1]

---

(١) في تلك السَّنة وهي العاشرة للهِجْرة أذاع النَّبيّ ﷺ في النَّاس أنَّه حاجٌّ في ذلك العام حَجَّة الوداع، فوافاه النَّاس من كل فَجٍّ عميق، وخرج من المدينة بنحو مئة ألف أو يزيدون. فلمَّا كان الموقف بعَرفات نادى في النَّاس: عليٌّ منِّي وأنا من عليّ. ولمَّا قَفَل بِمَنْ معه من تلك الألوف، وبلغوا وادي خُمّ ـ وهو وادٍ شديد الحرِّ، كثير الوَخامة ـ هَبَط عليه الرُّوح الأمين بآية التَّبليغ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة المائدة].

وافَتْهُ من شَتَّى الجِهاتِ خَلائقٌ
وَفَدت لِتَشْهَدَ رَوْعةَ التَكْبيرِ

وقال زيد بن أَرْقَم: خطب رسول الله ﷺ بغدير خُمّ تحت شجرات، فقال: يا أيها النَّاس، يُوشك أَنْ أُدْعى، فأُجيب، وإنِّي مسؤول وإنَّكم مسؤولون، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنَّك قد بَلَّغت وجاهدت ونَصَحْت فَجَزاك الله خيرًا. فقال: أليس تشهدون أنْ لا إلٰه إلاَّ الله وأنَّ محمَّدًا عبده ورسوله؟ وأنَّ جَنَّته حقٌّ وأنَّ ناره حقٌّ وأن الموت حقٌّ وأن السَّاعة لا رَيْبَ فيها، وأن الله يَبْعَثُ مَنْ في القبور؟ قالوا: بلى نَشْهد بذلك. قال: اللَّهُمَّ اشهدْ، ثمَّ قال: يا أيُّها النَّاس: إنَّ الله مولايَ، وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا مولاه (يعني عليًّا) اللَّهُمَّ، والِ من والاه، وعادِ مَنْ عاداه». (الطَّبراني).

وغِبَّ حديث الغدير أتى كِبار الصَّحابة، وفيهم أبو بكر الصِّدِّيق وعمرُ بن الخطَّاب يُهَنِّئون الإمام عليه السلام قائلين: هينئًا لك، يا ابن أبي طالب، لقد أصبحت

وغَدا «الحَطِيمُ الرُّكنُ» مُلْتَفَتَ الدُّنَى
وغَـدَت بُـحُـورٌ تَـلْـتَـقـي بِـبُـحُـورِ

وعـلـى ذُرَى «عَـرَفـاتَ» تُـوِّجَ مَـوْقِـفٌ
بـكـلامِ رَبٍّ لِـلْـكَـلامِ، جَـهِـيـرِ

وأَوانَ عـادَ مَـعَ الأُلُـوفِ، وأَدْرَكُـوا
أَفْـيـاءَ «خُـمٍّ» ذاتَ يَـوْمِ حَـرُورِ

نَزَلُوا هُناكَ على الغَديرِ لِيَسْمَعُوا
تِـلـكَ الـوَصِـيَّـةَ مِـنْ كَـلامِ خَـطِـيـرِ

وأَتـاه «جِـبْـرِيـلُ» الـمَـلاكُ بـسُـورةٍ
حَـمَـلـتْ مِـنَ الـتَّـأْيـيـد والـتَّـبْـشـيـرِ:

وأمسيت مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة. وأمر النَّبيّ ﷺ أمَّهات المؤمنين أن يُهَنِّئنه أيضًا ففعلن.

بَلِّغ، فأَنْتَ رَسُولُ رَبِّكَ، صادِقًا
وَحْيَ الإِلٰهِ، وأَنْتَ خَيرُ جَديرِ

لَفَظَ الرَّسُولُ رسالةً عُلَويَّةً
وسَما يُرَدِّدُها لِسانُ عُصُورِ:

يا أَيُّها النّاسُ الكِرامُ، لَمُوشِكٌ
أَنِّي سأُدْعَى، حانَ يَوْمُ مَسِيري

فأُجِيبُ دَعْوَتَهُ، وإِنِّيَ مِثْلُكُمْ
آمنتُ، باتَ ضَميرُكُمْ كَضَميري

ماذا تَقُولُونَ؟ انْتَظَرْتُ جَوابَكُمْ
أَتُراهُ أَخْطَأَ أم أَصابَ شُعُوري؟

قالُوا سَنَشْهَدُ أَنْ حَمَلْتَ رسالةً
بَلَّغْتَها، وَغَدَتْ حَدِيثَ دُهُورِ

اللهُ أكْـبَـرُ، لا سِـواهُ مُـؤلَّـهٌ
وَهْـوَ الـعـظـيـمُ، وفَـوْقَ كُـلِّ كَـبِـيـرِ

والـمـوتُ حَـقٌّ، والـقِـيـامـةُ سُـنَّـةٌ
والـنّـاسُ قِـسْـمَـةُ جَـنَّـةٍ وسَـعِـيـرِ

فـأَضـافَ: مَـوْلايَ الإِلٰـهُ، وإنَّـنـي
لـلـمـؤمـنـيـنَ صَـحـابـتـي وعَـشِـيـري،

مَـوْلًـى، وأَوْلَـى مِـنْـهُـمُ بـنُـفُـوسِـهِـمْ
واللهُ فـي يـومِ الـحِـسـابِ مُـجِـيـري

وعَـلـيٌّ مِـنِّـي، مـا عَـلِـيٌّ؟ مِـثْـلَـمـا
أنـا مـنـهُ، وهـو خـلـيـفـتـي وَوَزِيـري

وسَـنَـلْـتـقـي، يـومًـا، عـلـى الـحَـوْضِ الَّـذي
كـاسـاتُـه مِـنْ فِـضَّـةٍ وأَثـيـرِ

ولَسوفَ يأتيهمْ عليٌّ، مُبَكِّرًا
في الوافِدِينَ، وقَبْلَ كُلِّ بَكِيرِ

وهناكَ، أَسْألُهم: تُرَى حَفِظُوا مَعَ
الآياتِ مِ القُرْآنِ أَمْرَ أَميري؟

* * *

وأَتَى أبو بَكْرٍ يُبايعُهُ رضًى
عُمَرٌ يُهَنِّئُ باسمًا بسُرورِ

موت الرَّسول

ماتَ الرَّسُولُ، وشاعَتِ الأَخبارُ
والهاجرُون دَرَوْا كما الأَنْصارُ

فَتَجَمْهَرُوا يومَ «السَّقِيفَةِ» وٱلتَقَوا[1]
حَولَ الخِلافةِ، ثُمَّ دارَ حِوارُ

---

(١) لمَّا أشرف النَّبيّ ﷺ على الموت ورأتْه فاطمة عليها السلام على تلك الحالة، هالَها الموقف الخطير، فأَسَرَّ إليها أبوها أنَّه مُفارق الدُّنيا، فبكَت، ثمَّ أسَرَّ إليها أنَّها أوَّل من يلحق به من أهله، فتبسَّمت، ولم تَعِش بعد أبيها سوى بضعة أشهر. ودعا النَّبيّ ﷺ عَلِيًّا عليه السلام فحَباه خاتمه وحَمائل سيفه ثمَّ طلب دَواةً وصحيفة

عُـمَـرُ يُـكَـذِّبُ مَـوْتَـهُ حُـبًّـا بـهِ
وَمَـعَ الـمَـحـبَّـةِ حُـرْمـةٌ وَوَقـارُ

وَدَرَى أبـو بَـكْـرٍ، فـأذَّنَ مُـعْـلِـنًـا
مَـوْتَ الـرَّسُـولِ، أَذانُـهُ إقْـرارُ

أَمّـا عـليٌّ فكـانَ مُنْشَغِلًا بتَجْهِيز
الـجِـنـازة، هَـمُّـهُ الإِكْـبـارُ

لِـلـمَـوْتِ حُـرْمـةُ قـادِرٍ، ومَـهـابـةٌ
وعـلـى الـمَـبـادئ يَـجْـدُرُ الإِصْـرارُ

وقال: اكتب لكم كتابًا لن تَضِلُّوا بَعْدَه، فقال بعضهم: إنَّ رسول الله ﷺ قد غَلَبَه الوَجَع. وقال سواه: بل قرِّبوا يكتب، فلم يُسْتَجب طلبه. (المقصود).

وَلَدَى «السَّقِيفة» دارَ كُلُّ تَداوُلٍ
أَتُرَى تَناسَوا، وانتهَى التَّذْكارُ؟!

أَنَّ النَّبيَّ بِيَوْمِ «صِفِّينٍ» رَأَى
وَجْهَ العَليِّ خَليفةً يُخْتارُ

والقَوْمُ بايَعَهُ، وكَرَّمَ وَجْهَهُ
عُمَرٌ، أبو بَكْرٍ، وذاكَ جَهارُ

والآنَ، يأتمرونَ غُيِّبَ عَنْهُمُ
آلُ الرَّسُولِ، وذلكَ التَّيّارُ

* * *

وَيْحَ السِّياسةِ كمْ تُباعِدُ سَيِّدًا
لِيَنُوبَ عَنْهُ مُساوِمٌ مَكّارُ!

مُبايعة عليّ

سادَ الإرهاب في بلدة الرَّسُولُ ﷺ، ودانت الرِّقاب لرجال الثَّورة، وأصبح الحكم في يد الغافِقيّ أمير المِصْريِّين، يُصرِّف الأمور، ويؤمُّ النّاس في الصَّلاة، لا طمَعًا في الخلافة، ولكنْ يأسًا من تقليدها رجلًا يَرْضاها، ويَرْضاه النّاس، فلقد أباها عليّ عليه السلام، وهَجَر دارهُ إلى فضاء المدينة هَرَبًا من إلحاح النّاس عليه، وفي طليعتهم كبار الصَّحابة والمهاجرين والأنصار، والتأمَ جَمْعُهم لثالث مَرَّةٍ منذ وفاة محمَّد ﷺ وبينهم طَلْحة والزُّبير، وعمّار بن ياسِر، وأبو الهَيْثم، وأبو أيُّوب الأنصاري ووقف فيهم عَمّار خطيبًا، فقال: يا أيُّها الأنصار:

قد سارَ فيكم عثمان بالأمس بما رأيتموه، وإنَّ عليًّا أَوْلى النّاس بهذا الأمر لِفَضْله وسابقته، فامتلأ

المسجد بصوتهم المُدَوِّي ينطلق كمِن فَمِ رجلٍ واحد: «رَضينا به»، وساروا إلى عليّ عليه السلام يَهْتِفونَ له، ويُهيبُون به أن يقبل بيعتهم، فأبى أن يستغِلَّ عاطفتهم الكريمة، فقال: ألا تَرى الفِتْنة؟ ألا تخاف الله؟ فقال: اعلمُوا أَنِّي إن أجبتكم رَكِبْتُ بكم ما أعلم، وإن تركتموني فإنَّما أنا كأحدكم بل أنا أسْمَعُكم وأَطْوعُكم. فما زالوا به حتَّى واعَدَهم إلى الغد في المَسْجد الجامع. فأتَوه في الغد، وخَرَج إليهم، فتداكُّوا عليه كَتداكِّ الإِبل الهِيم (العَطْشى) على وِرْدها، وصَعِد المنبر، وقال: أيُّها النّاس، إنَّ هذا أمركم ليس لأحد فيه حقٌّ إلاَّ من أمَّرتم، وقد افترقنا بالأمس على أمر، فإن شئتم قَعَدْتُ لكم، وإلاَّ فلا أجِدُ على أحد. فزُلزلت الأرض بالهُتاف له وصاحوا كلُّهم: «نُبايعُك على كتاب الله». واندفعوا يُبايعونه، وكانت أوَّل يَدٍ امتدَّت للمُبايعة يد طَلْحة، فتَطَيَّر بعضهم وقال: أحَقُّ بهذه اليد الشَّلاَّء أن تَنْكُث.

زرع عثمان العَوْسج، وها هو عليّ عليه السلام يُدْمي أصابعه في الحصاد، يريد أن يقوِّم المُعْوَجَّ، ولكنَّ هذا المُعْوَجَّ قد تصلَّب. وقام عليٌّ عليه السلام في اليوم التّالي

للبيعة يبسط سياسته العادلة المطلقة الَّتي سينتهجها. وممّا قاله: أيُّها النّاس، إنَّما أنا رجل منكم، لي ما لكم وعليَّ ما عليكم، وإنِّي حاملكم على نَهْج نبيِّكم: ألا إنَّ كُلَّ قطيعة أقطعها عثمان، وكلَّ ما أعطاه من مالٍ فهو مَرْدُود إلى بيت المال، فإنَّ الحقَّ لا يُبْطله شيء... ونَشط في إنفاذ ما عزم عليه، فأَحْنَقَ صدور الذين أَلِفوا التَّرَف منذ سنين، وبدأت الفتنة تَذُرُّ قَرْنَها، وعلى رأس النّاقمين طَلْحة والزُّبير المخدوع بطَلْحة. ومن المؤسف أن يكون الزُّبير، وهو الفارس المشهور وحَواريُّ رسول الله ﷺ وابن صَفِيَّة عمَّة أمير المؤمنين في طليعة النّاقمين عليه. وأرسلت قميص عثمان المخضوبة بدمه إلى دمشق لإِثارة الجماهير والتأليب على عليٍّ عليه السلام الَّذي اتُّهم ظلمًا بالمؤامرة على عثمان رضي الله عنه.

(عبد الفتّاح عبد المقصود)

ونزل طلحة والزُّبير وعائشة أمّ المؤمنين البصرة، وعمدوا إلى قتل عثمان بن حنيف عامل عليّ عليها، فكان قَتْلُه الشَّرارةَ الأولى لنار الحرب. وعَبَّأ أعداء عليّ عليه السلام الجيوش، واصطفَّت الصُّفُوف، وأمر

عليٌّ عليه السلام مُناديًا يُنادي في أصحابه، لا يَرْمِيَنْ أحد سهمًا، ولا يَطعنْ بِرُمح حتَّى أَعذِرَ إلى القوم، فأتَّخذ عليهم الحُجَّة البالغة. قال: فكلَّم عليٌّ عليه السلام طَلْحة والزُّبير قبل القتال، فقال لهما: أَسْتحلِفا عائشة بحقِّ الله ورسوله وإسلامي قبل كُلِّ مسلم، وكِفايتي رسول الله نار العرب بسيفي ورُمحي، وعلى براءتي من دم عثمان، وعلى أنِّي لم أَسْتكرهْ أحدًا على بيعتي، وعلى أنِّي لم أكُنْ أحسن قولًا في عثمان منكما؟ فأجابه طَلْحة جوابًا غليظًا، ورَقَّ له الزُّبير.

وفي اليوم التّالي خرج على بَغْلة رسول الله صلى الله عليه وآله بين الصَّفَّين، وهو حاسِرٌ، فقال: أين الزُّبير؟ فخرج إليه واعتنقا كلٌّ صاحبه وبكى. وذكَّر علي عليه السلام ابن عمَّته بقول رسول الله صلى الله عليه وآله يوم قال للزُّبير: إنَّك تُقاتِلُ عليًّا، وأنت له ظالم؟ فتذكَّر الزُّبير وقال: اللَّهُمَّ نَعم ولكنِّي نسيتُها. وترك الزُّبير الحرب، ولَقِيَه الغادر ابن جُرْموز، وهو في طريقه إلى المدينة، فاستوهبَه فرسه ودِرْعه وغَدَرَ به.

(الإمامة والسِّياسة)

مُبايعة عليّ

عُثمانُ ماتَ، وشُرِّعَتْ أَبْوابُ
وطَغَى الخَرابُ، وسَيْطَرَ الإِرْهابُ

والقَوْمُ مُضْطَرِبُ الخَواطِرِ، هائجٌ
قَلِقُ الفؤاد كما يَهِيجُ عُبابُ

مَلَكَ القِيادَ الثّائرونَ، فَرَوَّعُوا . . .
خَضَعَتْ لهمْ بينَ الأَنام رِقابُ

«الغافِقِيُّ» الثَّوْرَوِيُّ رئيسُهُمْ
أَضْحَى يُصَرِّفُ أَمْرَهُمْ، ويُهابُ

ويَـؤمُّـهُـمْ عـنـدَ الـصَّـلاةِ، مُـؤَمِّـلًا
يَـبْـغـي الـوَلِـيَّ، ولـيـس ثَـمَّ جَـوابُ

ودَعـا عَـلِـيًّـا لـلـخِـلافـة، فـاخـتـفَـى
وعـلـيٌّ أَسْـمَـى مـا سَـمَـتْ أَنْـسـابُ

أَوْصَـى الـنَّـبِـيُّ لـهُ، وهَـنَّـأَهُ رِضًـى
أَلـصّـاحـبـانِ... وبـايَـعَ الأَعـرابُ

يَـوْمَ الـغَـديرِ، ومـا الـحـديثُ بِـكـاذِبٍ
جَـهَـرَ الـرَّسُـولُ بـهِ، وضَـجَّ خِـطـابُ

والـيـومَ، تَـمْـنَـحُـهُ الـجُـمُـوعُ وَلاءَهـا
وبـهـا كِـبـارُ الـقَـوْمِ والأَرْبـابُ

هَـتَـفُـوا مَـلِـيًّـا بـالـعَـلِـيِّ خـلـيـفـةً
وعـلـى عـلـيٍّ أَجْـمَـعـتْ أَحْـزابُ

لكنَّه يأبَى الخِلافةَ عن يَدِ الثُّوّارِ
غَلْغَلَ بينَهُمْ خُرّابُ

* * *

وٱلْتامَ جَمْعُهُمُ لِثالثِ مَرَّةٍ
مِنْ بَعْدِ ما ماتَ النَّبيُّ، وتابُوا

«عَمّارُ» «طَلْحَةُ»، و«الزُّبيرُ»، وغيرُهُمْ
خَبَروا الوَلِيَّ، وكُلُّهم صُيّابُ[1]

في المَسْجِدِ النَّبَويِّ قال خَطِيبُهُمْ
«عمّارُ» وٱئْتَمَّتْ بهِ الأَقْطابُ:

أَوْلَى الأَنامِ بها عليٌّ لِفَضْلِهِ
ولِنُبْلِهِ، ولأَنَّهُ الغَلاَّبُ

---

(١) الصُّيّاب: خِيار القوم.

وٱرْتَجَّ في الجَنَباتِ رَجْعُ جَوابِهِمْ
إنّا رَضِينَاهُ، وذاك صَوابُ

سارُوا إليهِ، هاتِفينَ، رَجاؤُهُمْ
أنْ يَسْتَعِدَّ، فيسْتَتِبَّ نِصابُ

لكنَّه يأبَى، ويَرْفُضُ رأيَهُمْ
لا يُسْتَغَلُّ هَوًى لَهُمْ، ورِغابُ

ويُجيبُهُمْ: هَلاَّ رأيتُمْ فِتْنةً؟
هَلاَّ خَشِيتُمْ ما يَقُولُ كِتابُ؟

إنْ تَتْرُكُوني قد تَرَوْنِيَ واحدًا
منكمْ أُتَمِّمُ ما ٱرتأتْ آرابُ

واستَحْلَفُوهُ بِـ «يا حَبيبَ مُحَمَّدٍ»
الخَطْبُ طاغٍ، والأَنامُ غِضابُ

فأَجابَهُمْ: غدًا اللِّقاءُ بِمَسْجِدٍ
الرُّكْنُ يَشْهَدُ فيهِ والمِحْرابُ

وأَتَى غَدٌ، فأَتَوْا إليه وبايَعُوا
صَدَقَ الجميعُ وأَثْمَرَ التَّرْحابُ

مُذْ مُدَّتِ الأَيْدي بَدَتْ يَدُ «طَلْحةٍ»
أُولَى، و «طَلْحةُ» ماكِرٌ كَذّابُ

وتَوَجَّسَتْ بَعْضُ النُّفُوس شَرارةً
لِلشَّرِّ يَعْقِبُها، الغَداةَ، عِقابُ

الزّارِعُون الشَّوْكَ، قَبْلُ، عِصابةٌ
«أَلبَغْيُ» رأسُهُمُ، وهُمْ أَذْنابُ

وعَليٌّ يُدْميها أَصابِعَهُ مَتَى
حانَ الحِصادُ، وباتَ ثَمَّ عَذابُ

هَـيـهـاتِ يَـقـدِرُ أن يُـقَـوِّمَ أَعْـوَجًـا
فـيـهـا ، فـإنَّ الـمُـعْـوَجـيـنَ صِـلابُ

قـد قـام يَـبْـسُـطُ فـي الـبِـلاد سِـيـاسـةً
نَـهْـجُ الـعَـدالـةِ نَـهْـجُـهـا الـخَـلاَّبُ

نَـهْـجُ الـنَّـبـيِّ نَـبِـيِّـهِـمْ، وَضَـحَ الـضُّـحَـى
فـيـه عِـقـابٌ صـارِمٌ وثَـوابُ

«الـنّـاسُ كُـلُّـهُـمُ عِـيـالُ اللهِ، أَقْـرَبُـهُـمْ
إلـيـهِ»، الـصّـالـحُ الـوَهّـابُ

لَـتُـرَدُّ كُـلُّ قَـطِـيـعـةٍ، عُـثْـمـانُ أَقْـطَـعَـهـا
فَـبَـنَـيْـتُ الـمـالِ فـيـه حِـسـابُ

ومَضَى يُنَفِّذ كلَّ مُعْتَزَمٍ له
فأثار مَنْ هُمْ في الخَنا أربابُ[1]

عجبًا له ذاك الزُّبيرِ، ضَحِيَّةً
أَضْحى لِطَلْحَةَ، والكِذابُ كِذابُ[2]

وهو الَّذي خاضَ المعارِكَ فارسًا
مُتَمَرِّسًا ما أَرْهَقَتْهُ صِعابُ

أَمْسَى حَوارِيُّ النَّبيِّ مُخاصِمًا؟
يا ٱبْنَ «الصَّفيَّةِ»، إنَّ ذلكَ عابُ[3]

واللهِ، لو بَلَغَتْ فِعالُكَ قَبْرَها
لَارْتَجَّ مِنْ فَوقِ العِظامِ تُرابُ

---

(١) الخنا: النَّوائب.
(٢) طلحة والزُّبير من شيوخ قريش.
(٣) صَفِيَّة: عمَّة النَّبيّ ﷺ، والزُّبير ٱبن لها.

وقميصُ عُثمانٍ، يُخضِّبُه دَمٌ
وَفَدتْ بهِ صَوْبَ الشّآمِ رِكابُ

فَهُنا تُشَبُّ له وتُنْشَبُ فِتْنَةٌ
وعلى عَلِيٍّ، يُسْتثارُ صِحابُ

وتُلَفَّقُ الأَخبارُ عنهُ كَذُوبةً
والصِّدْقُ بادٍ ما مَحاهُ كِذابُ

وَهْوَ البَريءُ، فلا يَشُوبُ ضميرَهُ
دَمٌّ، ولا يُخْفي هَواهُ حِجابُ

قد طالَبُوهُ بالدِّماءِ طَلِيلةً
لِتكُونَ خَلْفَ سُيُوفِهِمْ أَسْبابُ

وَيْحَ السِّياسةِ إذْ تُبيحُ مُحَرَّمًا
ولها تُسَخَّرُ في الدُّنَى الأَلْبابُ

معركة الجمل

ومَشَى إلى أَرْضِ العِراقِ ثلاثةٌ:
«إبنُ الزُّبير»، و«طَلْحةُ» المُغتابُ

وكَذاكَ أُمُّ المؤمنينَ ورَهْطُها
ومَواكبٌ ضاقتْ بِهِنَّ رِحابُ

في البَصْرة الثَّوراءِ كان لِقاؤهُمْ
قد ظَلَّلَتْها أَسْيُفٌ وحِرابُ

قَتَلُوا وَلِيَّ عَلِيِّها وأَميرِها
عُثمانَ، والْتَهَمَ الهَشِيمَ ثِقابُ

حَشَدوا جَحافِلَهم، وكُلَّ سَلاحِهِمْ
غَدَتِ السُّهُولُ كأنَّهُنَّ هِضابُ

وتقابَل الجَمْعانِ عَبْرَ صُفُوفهمْ
كُلٌّ يُمَثِّلُ أَنَّهُ الوَثّابُ

و«ابن الزُّبير» مُطَوَّفٌ ومُحَذِّرٌ
من ذي الفَقارِ، فإنَّه ضَرّابُ

أمّا «عليٌّ» فكان أَمْرُ نِدائِهِ
لا تَبْدأُوا حَرْبًا، ولا تَرْتابُوا

وبَدا، فساءَل «طَلْحَةً» ثُمَّ «الزُّبيرَ»
وفي السُّؤالِ مَلامةٌ وعِتابُ

أَنْ يَسْألا زَوْجَ النَّبيِّ وصِدْقَها
عن أَرْبَعٍ هِيَ جَوْهَرٌ ولُبابُ:

مَـنْ بـالإِلٰـهِ أَحَـقُّ مِـنِّـي؟ إنَّـنـي
فـي الـمُـسـلـمـيـنَ الأوَّلُ الـرَّغّـابُ

بِـحِـمـايـتـي بـالـسَّـيْـفِ بَـيْـتَ رَسُـولِـهِ
ورسـالـةً كَـفَـرَتْ بـهـا الأَعْـرابُ

وبَـراءتـي مِـنْ دَمِّ عُـثْـمـانَ الَّـذي
خـاصَـمْـتُـمـاهُ، وكـان منه عُـجـابُ

مَـنْ قـال إنِّـي قـد طَـلَـبْـتُ خِـلافـةً؟
فـلْـيُـسْـألِ الأَعـداءُ والأَحْـبـابُ

فأَجاب «طَلْحةُ»، والجوابُ جَهالةٌ
وكَـلامُـه وَقِـحٌ، عـلـيـهِ يُـعـابُ

أَمّـا «الـزُّبـيـر» فَـرَقَّ مـن وُدٍّ لَـهُ
وَسَـمَـتْ تُـهَـذِّبُ قَـوْلَـه الآدابُ

ورآه ثـانـيـةً وَحـيـدًا حـانـيًـا
فَتعانَقا، هل يَحْقِدُ الطُّيّابُ؟

ورَنا عـلـيٌّ إلـى الـزُّبـيـرِ، مُـذَكِّـرًا
إيّـاهُ قَـوْلًا لِـلّـنَّـبـيِّ يَـقُـولُ:

أنـتَ الـمُـقـاتِـلُ لِـلْـعَـلِـيِّ، وظـالـمٌ
لِسَماحِهِ، والـصَّـبْـرُ منـهُ جَـمـيـلُ

فـتـذكَّـرَ الـحَـدَثَ الـزُّبـيـرُ، وإنَّـمـا
نَـسِـيَ الـمَـقـالـةَ عَـلَّـهـا سَـتَـزُولُ

وشَجاهُ ذِكْرُ الأَمسِ، فاْعتزلَ القِتالَ
بِـحَـسْـرةٍ، وضَـمـيـرُهُ مَـسْـؤولُ

لٰـكـنَّـه لَـقِـيَ الـمَـنِـيَّـةَ سـائـرًا
صَـوْبَ الـمـديـنـة، دَمُّـهُ مَـطْـلُـولُ

أَرْداهُ غَـدْرًا «إبْـنُ جُـرْمُـوزٍ»، وقـد
نـال الـمُـنَـى مِـنْـهُ، وزالَ مُـنِـيـلُ

* * *

ورَوَوْا عن الحَرْبِ الضَّروسِ روايةً
وبِـدايـةً مـا شـابَـهـا تَـضْـلـيـلُ

جـاؤوا بِـمَـقْـتـولٍ رَمـاهُ عَـدُوُّهُـمْ
فـرأى عـلـيٌّ مَـنْ هـو الـمَـقْـتُـولُ

ورَجـا جِـمـاعَ الـقَـوْمِ أَن يَـتَـرَيَّـثـوا
رَدُّوا عـلـيـه: إلـى مَـتَـى سَـيَـطُـولُ

صَبْرُ الكِرامِ على اللِّئامِ سَماحةً؟
إنَّ الـلِّـئـامَ أَذاهُـمُ مَـرْذُولُ

* * *

وٱسْتأذنُوهُ في لِقاءِ عَدُوِّهِمْ
لِيُلقِّنوهُ الصِّيدَ كيف تَصُولُ

أوْ لا سَيَنْصَرفُونَ، لا حَرْبٌ، ولا
ضَرْبٌ، وتَشْمَتُ بالرِّجالِ خُيولُ

فإلامَ تُكْشَفُ لِلْعَدُوِّ صُدُورُهُمْ
وبها سِهامُ الغادِرينَ نُزُولُ؟!

فأَجابَهُمْ، واللهِ، أُبْلِغَ عُذْرُنا
والصَّبْرُ، لو رَدَعَ العَدُوَّ، طَوِيلُ

لكنْ تَمادَى في الضَّلال، وما ٱهتدى
ما آلَمَتْه أَنَّةٌ وعَوِيلُ

* * *

ودعـا مُـحـمَّـدًا ٱبـنَـهُ، فـأَجـابَـهُ
أَنَـذا هُـنـا، مُـرْنـي، فـمـا سـتَـقُـولُ؟

ـ أَبُـنَـيَّ، خُـذْهـا رايـةً، وٱرفـعْ بـهـا
قُـرِعـتْ لِـجَـيْـشِ الـمُـعْـتَـدِيـنَ طُـبُـولُ

«حَـسَـنٌ» تـقـدَّم و «الـحُـسيـن» لِـيَـسْـبِـقـا
فَـنـهـاهُـمـا، ولِـنَـهْـيِـهِ تَـعـلـيـلُ

هُـــوَ أَنَّـــهُ خَـــوفٌ عـــلـــى ذُرِّيَّـــةٍ
قـد يُـقْـتَـلانِ، فـتَـمَّـحِـي وتَـزُولُ

ودَعـا بِـدِرْعٍ لـلـرَّسُـول تَـصُـونُـهُ
إِنَّ الـتَّـدَرُّع بـالـرَّسـول أَصـيـلُ

قـال: ٱحْـزِمُـونـي مُـوثَـقًـا بـعِـمـامـةٍ
ومَـضـى يُـشَـعْـشِـعُ سـيـفُـهُ الـمَـسْـلُـولُ

رَفَعَ الجَبينَ إلى السَّماءِ، وصَوْتُهُ
عالٍ، لَعلَّ دُعاءَهُ مَقْبُولُ:

لَعَنَ الإلٰهُ القاتِلي عُثْمانِهِمْ
غَدْرًا، وقاتِلُ غيرِهِ مَقْتُولُ

* * *

نَظَمَ العَلِيُّ الجيشَ أَرْوَعَ خُطَّةٍ
فِرَقًا ثلاثًا، ما لَهُنَّ مَثِيلُ

«مُضَرٌ» غَدَتْ في القلب قَلْبًا خافقًا
«يَمَنٌ» يَمِينٌ، واسْمُها مأمُولُ

و «رَبيعةُ» السَّمراءُ مَيْسَرةٌ لهُ
واللهُ بالنَّصْرِ البَهِيِّ كَفِيلُ

* * *

زَحَفَ الخُصُومُ عليه زَحْفَةَ هادِرٍ
كالسَّيْلِ فاضَ، ولم تَسَعْهُ سُهُولُ

وتَلاحَمَ الجَيشانِ، واشْتَعلَتْ لَظًى
والنَّصْرُ كاد إلى العَدُوِّ يَمِيلُ

و «ابن الجُهَينِ» رَأَى عَلِيًّا مُتْعَبًا
في مُقْلَتَيْهِ فَتْرةٌ وذُبُولُ

تاللهِ، قالَ له: هُنا بإزائنا
مِئةٌ من الآلافِ، وَهْيَ تَهُولُ

إنْ شئتَ تَنْصُرُكَ، الغَداةَ سُيُوفُها
فَوَعَى عليٌّ ما الصَّديقُ يَقُولُ

ورَنا إلى كُبْرى المَعارِك، فانْتَخَى
وسَطا بِسَيْفٍ في القتالِ يَصُولُ

نادَى بِمَنْ حَمَلَ اللِّواءَ «مُحَمَّدًا»

أَقْدِمْ، فأبْطَأَ، والمَقامُ جَليلُ

فاْسْتَلَّ مِنْ يَدِهِ اللِّواءَ، مُهاجمًا

طَعْنًا وضَرْبًا، والصَّليلُ صَليلُ

وتَفَزَّعَ الفُرسانُ مِن وَثَباتِهِ

مُذْ راحَ في ساحِ الجِهادِ يَجُولُ

رَوِيَ الحُسامُ مِنَ الدِّماء، وإنَّما

ظَمِئَ الأَميرُ، وقد بَراهُ غَليلُ

وغَدا يقولُ: الماءَ، فاْجْتَلَبُوا لَهُ

عَسَلًا، فطابَ عن المِياهِ بَديلُ

فأَجابَهُمْ أَنْ «طائفيٌّ» ذاك لذَّ

مَذاقُهُ، فَدَهَى الأَنامَ ذُهُولُ[1]

---

(١) طائفيّ: نسبة إلى الطَّائف.

عَـجبًـا لـه كـيـف ٱهـتَـدَى لِـمَـذاقِـهِ
فـي مَـوْقـفٍ فـيـه تَـحـارُ عُـقُـولُ؟

* * *

وأَعـادَ ذَيّـاكَ الـلِّـواءَ إلـى ٱبْـنِـهِ
وهَـداهُ أَنَّـكَ مـا فَـعَـلْـتُ، فَـعُـولُ

وتَـلُـوحُ «عـائـشـةٌ»[1] تَـمِـيـلُ بِـمَـوْكِـبٍ
فـي هَـوْدَجٍ بـيـن الـحُـشُـودِ يَـمِـيـلُ

قـد سَـوَّرُوهُ بـالـسُّـيُـوفِ وبـالـقَـنـا
فـغَـدا مَـنِـيـعًـا مـا إلـيـهِ سَـبـيـلُ

---

(١) عـائـشـة زوج الـنَّـبـي ﷺ، وكـانـت تـكـره عَـلِـيًّـا عليه السلام وتحرِّض المُحاربين عليه.

ويُـقِـلُّـهـا جَـمَـلٌ لـوَ انَّ لـه نُـهًـى
ويُجيدُ نُطْقًا ، قال، وهو خَجُولُ. . .

* * *

فـي غَـمْـرة الـغـاراتِ جُـنْـدِلَ طَـلْـحـةٌ
غـالَـتْـهُ مُـرْتَـعِـدَ الـفَـرائـصِ غُـولُ

كَثُرَتْ ضَحايا الجَحْفَلَينِ ، وقد بَدَتْ
بَـعْـضُ الـسُّـهُـولِ كـأنَّـهُـنَّ تُـلُـولُ

لـكـنْ أُسـارَى الـحَـرْبِ حُـرِّمَ قَـتْـلُـهُـمْ
وكـذٰلـك الـجَـرْحَـى ، فَـعَـزَّ ذَلـيـلُ

لِـلْـحَـربِ آدابٌ ، عَـلـيٌّ يَـصُـونُـهـا
مـا راقَـهُ قَـهْـرٌ ولا تَـنْـكِـيـلُ

والـهَـوْدَجُ الـعـالـي تـألَّـبَ حَـوْلَـهُ
الـجَـيْـشـانِ، واقْـتَـتَـلا، وفَـحَّ فُـحُـولُ

وتـألَّـم الـجَـمَـلُ الـصَّـبُـورُ لأَسْـهُـمٍ
زُرِعَـتْ بـه، والـدَّمُّ راحَ يَـسـيـلُ

فَهَوى إلى عُمْقِ الحَضِيضِ مُحَطَّمًا
وكـأنَّ هـاتـيـكَ الـسِّـهـامَ كُـبُـولُ

قُـطِـعَـتْ أَيـادٍ سَـوَّرتْـهُ كـثـيـرةٌ
ولأَسْـرِ عـائـشـةٍ تُـصـانُ أُصُـولُ

بَعَثَ الأميرُ لها الرَّسُولَ مُسائلًا :
أَسَـمِـعْـتِـهِ مـا قـد أَذاعَ رَسُـولُ؟

يَبْقَى عـلـيٌّ لـلـحـقـيـقـةِ حـامـيًـا،
والـحـقُّ يَـحْـمِـيـهِ، إلـيـه يَـؤولُ

وخَـرَجـتِ ثـائـرةً عـلـيـه حَـقُـودةً
مـا رَدَّ حِـقْـدَكِ نـاصِـحٌ وعَـذُولُ

وأَتَـى عـلـيٌّ بـالـسُّـؤالِ تَـلَـطُّـفًـا
أُمّـاهُ، هـل سَـهْـلٌ عـلـيـكِ رَحِـيـلُ؟

زَوْجُ الـرَّسُـولِ، فـلا تُـفـارِقُ دارَهـا
لِـقِـتـالِ مَـنْ هُـو فـي الـجِـهـادِ أَصِـيـلُ

قـالـت: سـأرْحَـلُ، والـنَّـدامـةُ رَنَّـةٌ
فـي صَـوْتـهـا، وفُـؤادُهـا مَـخْـذُولُ

فـأعـادَهـا، كُـرْمَـى الـرَّسُـولِ، لِـدارِهـا
مـا مَـسَّـهـا هَـمٌّ ولا تَـهْـويـلُ

شَـكَـرَتْ له نُـعْـمَـى الـجَـمـيـلِ، وقَـلْـبُـهـا
راضٍ، يُـراوِدُ رأْيَـهـا الـتَّـبْـديـلُ

معركة صِفّين

سار معاوية في ثلاثة وثمانين ألفًا من جنود الشّام، وهم أطْوع له من بَنانه محتجًّا على عليٍّ عليه السلام بدم عثمان. وسار المعسكر حتَّى نزل بِصِفِّين سَبْقًا إلى سهولة الأرض وسَعَة المُناخ، وقرب الفُرات. وكان جند عليّ عليه السلام خليطًا من أُمم وقبائل شتَّى، ولكنَّه جند مُشاكِس مُعاكِس، لا يخضع لأمر، ولا يعمل بنصيحة. ولمّا نزل معاوية بصِفِّين بَعَثَ فَيلقًا من جنده ليَحُولَ بين أصحاب عليّ عليه السلام والماء. فبعث إليه عليٌّ عليه السلام يقول: إنَّ الَّذي جئنا له غيرُ الماء، ولو سبقناك إليه، لم نَمنعْك منه. وقال عمرو بن العاص: يا معاوية، لا تَظُنَّ أنَّ عليًّا عليه السلام يظمأ، وأَعِنَّةُ الخيل بيده، وهو ينظر إلى الفرات حتَّى يشرب أو يموت دونه، خَلِّ عن القوم يَشْربوا. فقال معاوية: هذا، واللهِ

، أوَّلُ الظَّفر، لا سَقاني الله من حوض الرَّسول ﷺ إن شربوا منه حتَّى يَغْلبوني عليه. ولمّا اشتدَّ العطش بأصحاب عليّ، أقْحَمَ الأَشْتر النَّخْعيّ الخيل حتَّى وضع سَنابِكَها بالفرات، وانخذل أصحاب معاوية. فَشَمَتَ عمرو بن العاص بمعاوية، وقال: ما ظنُّك إن مَنَعَكَ عليٌّ عليه السلام الماء كما مَنَعْته أنت، أَتُراك ضارِبَهم كما ضَرَبوك؟ ولكنَّ عليًّا عليه السلام لا يستحلُّ منك ما استحلَلْتَ منه. وكان في صِفِّين بين الفريقين قتال فيه الفناء، فلمّا رأى عليّ كثرة القتال والقتل في النّاس، عَلا فوق التَّلِّ مُناديًا بأعلى صوته: يا معاوية، فأجابه، فقال عليّ عليه السلام: علامَ يَقتتل النّاس ويذهبون على مُلْكٍ، إن نلتَه، كان لك دُونَهم، وإن نلتُه أنا كان لي دُونَهم، ابرُز إليَّ ودَعِ النّاس فيكون الأمر لِمَنْ غلب، فقال عمرو بن العاص: أَنْصَفَكَ الرَّجل، يا معاوية، فضحك معاوية وقال: طَمِعْتَ فيها، يا عمرو. فقال عمرو: والله، ما أراه يجمل بك إلاَّ أن تبارزه. فقال معاوية: واللهِ، ما أراك إلاَّ مازحًا، نَلْقاه بجَمْعنا... وذكروا أنَّ عمرًا قال لمعاوية: أتجْبنُ عن عليّ وتتَّهمني في نصيحتي إليك؟ واللهِ،

لأُبارِزَنَّه، ولو متُّ ألف مَوتة. وبارزه، فطعنه عليٌّ عليه السلام، فصرعه، فاتَّقاه بِعَوْرته، فانصرف عنه وولَّى بوجهه دونه، وكان عليٌّ عليه السلام لم ينظر قطُّ إلى عَورة أحد حياءً وتكرُّمًا، وفَشا القتل في أصحاب معاوية، فخاف العاقبة، فاستشار ابن العاص الدّاهية، فأشار برفْع المَصاحف على الرِّماح، فنُشرت، وصاح أصحاب معاوية: بيننا وبينكم كتاب الله. فَوَقَعَ انشقاق الآراء في أصحاب عليّ. وأخذ أصحاب معاوية يُنادون في سَواد اللَّيل نداءً معه صُراخ واستغاثة: يقولون: يا أبا الحَسَن، مَنْ لِذَرارِينا من الرُّوم إن قتلتنا، الله! الله! كتاب الله بيننا وبينكم، فأصبحوا، وقد رفعوا المَصاحف على الرِّماح. وكان عليٌّ عليه السلام كارهًا للصُّلح والتَّحكيم، وانشقَّ عسكره شِيَعًا. وكان عمّار بن ياسر من جُملة الكارهين لِلصُّلح لأنَّه استشعر حيلة معاوية وراء ذلك... ثمَّ أقبل الأشتر جريحًا على عليّ عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين، خَيْلٌ كَخَيل ورجال كَرِجال، ولنا الفضل إلى ساعتنا هذه. فعُدْ إلى مكانك الَّذي كنت فيه، فإنَّ الناس يطلبونك حيث تركُوك. فدعا الأمير عليه السلام بفرَسه

الَّتي كانت لرسول الله ﷺ، وتعَصَّب بِعمامة الرَّسول ﷺ ثمَّ نادى: من يَبِعْ نفسه، اليوم، يَرْبحْ غدًا، وانتدب ما بين عشرة آلاف إلى اثني عَشَرَ ألفًا واضعي سيوفهم على عواتقهم، فحمل عليٌّ عليه السلام والنّاس حملة واحدة فلم يَبْقَ لأهل الشّام صفٌّ إلاَّ انهار حتَّى أفضى الأمرإلى معاوية، وعليٌّ عليه السلام يضرب بسيفه ولا يستقبل أحدًا إلاَّ وَلَّى منه، فدعا معاوية بفرسه لينجوَ عليه. فلمّا وَضَعَ رجْله في الرِّكاب، نظر إلى عمرو بن العاص، فقال له: يا عمرو، اليومَ صَبْرٌ، وغدًا فخر. قال: صدقت. فترك الرُّكوب وصَبَر. وأسرف الفريقان في القتل، ولم يكن في الإِسلام بَلاءٌ ولا قتل أعظم منه في تلك الثَّلاثة الأيّام. وإن عَلِيًّا عليه السلام نادى بالرَّحيل في جوف اللَّيل، فلمّا سَمِعَ معاوية رُغاء الإِبل دعا عمرًا بن العاص، فقال: ما ترى هٰهنا؟ قال: أظنُّ الرَّجُلَ هاربًا. فلمّا أصبحوا إذا عليٌّ عليه السلام وأصحابه إلى جانبهم قد خالطوهم. فقال معاوية: لقد زعمت يا عمرو، أنَّه هاربٌ. فضحك وقال: من فِعْلاته، والله. فعندها أيقن معاوية بالهَلَكة ونادى أهل الشّام، كتاب الله بينَنا

وبينكم، ويومئذٍ استبان ذُلُّ أهل الشّام، ورفعوا المصاحف ثمَّ ارتحلوا فاعتصموا بجبل مُنيف، وصاحوا: لا تَرُدَّ كتاب الله يا أبا الحسن، فإنَّك أولى به منّا وأحقُّ من أخذ به.

(عن كتاب الإمامة والسياسة)

التحكيم والخوارج

وما زال أهل العراق يُلِحُّون على عليٍّ عليه السلام حتَّى أكرهوه على تحكيم أبي موسى الأشعري وحكَّم معاوية عمرو بن العاص. ولما اجتمع الرَّجلان بِدَومْة الجَنْدل حضرهما من يَليهما من العرب ليستمعوا قول الرَّجلين. فلمّا التقيا استقبل عمرو أبا موسى فأعطاه يده وضمَّ عمرو أبا موسى إلى صدره فقال: يا أخي، قبَّح الله أمرًا فَرَّق بيننا، ثمَّ أقعد أبا موسى على صدر الفِراش وما زال يخادعه أيّامًا حتَّى اتَّفقا على خَلْعِ عليّ عليه السلام ومعاوية وتَوْلِيَةِ عبد الله بن عُمَر. واجتمع النّاس ليسمعوا التَّحكيم. فقال أبو موسى لعمرو: قُمْ يا عمرو، فقُلْ وصرِّحْ بما اجتمع عليه رأيي ورأيك وما اتَّفقنا عليه. فقال عمرو سبحان الله أقوم قبلك، وقد قدَّمك الله قبلي في الإِيمان والهِجرة، وأنت وافد

أهل اليمن إلى رسول الله ﷺ، ووافد رسول الله ﷺ إليهم، وبك هَداهُم الله وعرَّفهم شرائع دينه وسنَّة نبيِّه، وأنت صاحب مغانم أبي بكر وعمر، ولكن قُمْ أنت فقلْ ثمَّ أقوم فأقول. فقام أبو موسى فحَمِدَ الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: أيُّها النّاس، إن خير النّاس للنّاس خيرهم لنفسه، وإنّي لا أهلك ديني لصلاح غيري، إنَّ هذه الفتنة قد أكلت العرب، ورأيت وعمرو أن نخلع عليًّا عليه السلام ومعاوية ونجعلها لعبد الله بن عُمَرَ. ثمَّ قام عمرو فقال: أيُّها النّاس هذا أبو موسى شيخ المسلمين. وحَكَم أهل العراق ومن لا يبيع الدِّين بالدُّنيا قد خلع عليًّا وأثبت معاوية. فقال أبو موسى: ما لك، عليك لعنة الله ما أنت إلاَّ كمثل الكلب تلهث... فقال عمرو: ولكنَّك مثل الحمار يحمل أسفارًا. وكتب عبد الله بن عُمَرَ إلى أبي موسى: أمّا بعد، يا أبا موسى، فإنَّك تقرَّبت إليَّ بأمر لم تعرف هَواي فيه... أو كُنْتَ تراني أتقدَّم على علي عليه السلام وهو خير منّي؟ لقد خِبْتَ إذًا وخسرت وما أنا من المُهْتدين... ورقَّ علي عليه السلام لأبي موسى الضَّعيف الطيِّب القلب، فأحبَّ أن يضمَّه إليه. ولكنَّ الرَّجل

خجل والتزم مكَّة، وتآمر الخوارج فيما بينهم وكفَّروا عليًّا ومعاوية فدعاهم عليّ عليه السلام للرُّجوع إلى الصَّواب ووعدهم بالعفو عمّا جَنَته أيديهم من الوقوع بأصحابه. فأبوا وٱلْتَقى الجَمْعان على النَّهروان، فعاودهم عليّ عليه السلام وقال: ادفعوا إلينا قَتَلَةَ إخواننا منكم ثمَّ أنا أفارقكم وأكفُّ عنكم، فبعثوا إليه: إنّا كلَّنا قتلناكم وكلَّنا مستحلّ لدماكم. ثمَّ أتاهم عليّ عليه السلام فوقف عليهم فقال: أيّتها العصابة إنّي نذير لكم أنْ تصبحوا تلعنكم الأُمَّة غدًا، وأنتم صَرْعَى بإزاء هذا النَّهر. وكنت قد نهيتكم عن التَّحكيم فأبيتم وعَصَيْتُموني وَيْحَكُمْ بمَ استحللتم قتالنا والخروج عن جماعتنا. فنادى الخوارج: الحربَ الحربَ، الرَّواحَ الرَّواحَ إلى الجنَّة، ووضعوا سيوفهم على عَواتِقِهم، وكَرُّوا على أصحاب عليّ عليه السلام. وكان عليّ عليه السلام قد عبَّأ أصحابه فجعل على المَيمنة حجر بن عدي، وعلى المَيْسرة شبث بن ربعي وعلى الخيل أبا أيُّوب الأنصاري وعلى الرّجالة أبا قتادة وعلى أهل المدينة قيس بن سعد. ووقف عليّ عليه السلام في القلب في مُضَرَ ورفع لهم راية أمان مع أبي أيُّوب الأنصاري وقال

عليّ عليه السلام لأصحابه: كُفُّوا عنهم حتَّى يبدؤوكم... وشَدَّ الخَوارج على أصحاب عليّ عليه السلام شدَّة رجل واحد الخيل أمام الرّجال. فاستقبل الرُّماة وجوهَهم بالنَّبل. ونهض عليّ عليه السلام بالقلب بالسُّيوف والرِّماح. فلا، والله، ما لبثوا فواقًا حتَّى صَرَعهم الله كأنَّما قيل لهم: مُوتُوا فماتوا.

(عن محمَّد بن أبي قُتَيبة)

معركة صفّين والتحكيم

أَضْحَتْ رُبُوعُ الشّامِ هَمًّا ناصِبا
وغَدا لِوالِيها عَلِيٌّ مُناصِبا

يَدْعُوهُ جَهْرًا أَنْ يُبايِعَ طائعًا
ويَرُدُّ بِـ اللاَّ، عاصِيًا ومُغاضِبا

مِنْ بَعْدِ ما حَشَدَ الكِبارَ مُشاوِرًا
وأَشاعَ من كَذِبٍ، وبَثَّ غرائبا:

أَنَّ الإِمامَ اغتالَ عُثْمانًا، فلا
نَرْضَى نُبايعُ مُجْرِمًا مُتَعاجِبا

ومَضَى يُطالِبُ بالدِّماء، ولم يَكُنْ
قَبْلَ الخِلافةِ بالدِّماء مُطالِبا

وأَعانَهُ عَجِلًا، وسانَدَ رَأْيَهُ
عَمرو لِيَحْلُمَ بالإِمارةِ راغِبا

وأَوانَةَ ٱبْنُ العاصِ باتَ مُبايعًا
وَفَدَتْ شُيُوخُ الشّام، بَعْدُ، مَواكِبا

وَيْلًا لها، وَيْلًا لِخُطَّةِ أُمَّةٍ
تُقْصِي العظيمَ لِكَيْ تُحَكِّمَ كاذِبا

* * *

فَنَوَى عليٌّ أن يَسِيرَ بِغَزْوةٍ
يَلْقَى بها جَيْشَ الشّآمِ مُحاسِبا

نـادَى: تَـيَـسَّـرْ، يـا زِيـادُ، فـجـاوَبَ
الـمَـدْعُـوُّ مُـنْـذهِـلًا، وقَـطَّـبَ حـاجِـبـا

أَيُّ الـبِـلادِ تُـريـدُنـي أَجـتـاحُـهـا؟
مَـولايَ، أَمْـرُكَ عُـدَّ دَوْمًـا واجِـبـا

قـال: الـشّـآمُ، غـدًا، فَـرَدَّ رَسُـولُـهُ:
«الـرِّفْـقُ أَمْـثَـلُ» لا يَـرُدُّكَ خـائـبـا

فـأَتَـى عـلـيٌّ بِـبَـيـتِ شِـعْـرٍ شـاهِـدٍ
كـالرُّمْـحِ يَـخْـتَـرِقُ الـمَـسـامِـعَ ثـاقِـبـا[1]:

«إنْ تَـجْـمـعِ الـقَـلْـبَ الـذِّكـيَّ، وصـارِمًـا
سـتَـنـالُ، حَـتْـمًـا كُـلَّ حَـقِّـكَ، غـاصِـبـا

---

(١) بيت الشِّعر هو:
متى تَجْمَعِ القلبَ الذَّكِيَّ، وصارمًا
وأنفًا حَمِيًّا تَجْتَنِبْكَ المَظالِمُ

ومَضَى شُجاعًا ، للجُيوشِ مُعَبِّئًا
يُغْرِيهِ غَزْوُ الشّامِ غَزْوًا ضاربا

* * *

ودَرَى «معاويةٌ» بِغَزْوةِ ماردٍ
شَهِدَتْ لِسَطْوَتِهِ المَعارِكُ، غالبا

ومَشَى عليٌّ نَحْوَ صِفِّينٍ، وقد
وافاهُ والِيها يَجُرُّ كَتائبا

واحْتَلَّ مَجْرَى النَّهْرِ، يَمْنَعُ ماءَهُ
إنْ جاءَهُ جيشُ الخِلافَةِ، شارِبا

لكنَّما ٱبْنُ العاصِ عارَضَ رأيَهُ
ورَماه بالرَّأي المُخالِفِ، صائبا

فعَليٌّ لا يَظْما، ويُمْنَعُ مِنْ رِوًى
ما دامَ سَيّافًا يَسُلُّ قَواضِبا

فـأَبَـى مُـعـاويـةٌ، ورَدَّ مُـهَـدِّدًا
إن يَـشْـرَبـوا، سـأَظَـلُّ أَلْـهَـثُ لاغِـبـا

لا يَـسْـقِـنـي رَبِّـي مِـيـاهَ جِـنـانِـهِ
وأَمُـوتَ مِـنْ ظَـمـأٍ، ولَـسْـتُ الـواهِـبـا

* * *

عَـطِـشَـتْ جُـيُـوشُ عـليٍّ الـكُـبْـرَى الَّـتي
جـازتْ صـحـارِيَ فـي الـعِـراقِ لَـواهِـبـا

لـكـنَّـمـا الـنَّـخْـعِـيُّ أَقْـحَـمَ خَـيْـلَـهُ
شَـطَّ الـفُـراتِ، وشَـكَّ فـيه مَـضـارِبـا[1]

وجَـلا مُـعـاويـةً، ورَوَّع جَـيْـشَـهُ
فـارْتـدَّ مُـنْـهَـزِمًـا، وَوَلَّـى هـاربـا

---

(١) الأَشْتَر النَّخعيّ: كبير القوّاد في جيش الإمام عليه السلام.

فتسارَعَ ٱبْنُ العاص يَسْأَلُهُ: تُرَى
يَنْوِي عليٌّ كما نَوَيتَ، مُعاقِبا؟
لا، لا، عليٌّ ليس يَفْعَلُ فِعْلَكمْ
لا يَسْتَحِلُّ... ولا يَذُودُ الشّارِبا
وتَشابَكَ الجيشانِ، وٱنْدَلَعتْ كما
ٱندلَعَ الحَرِيقُ بِحَقْلِ قَمْحٍ، ناشِبا
هذا يَشُدُّ، وذا يَصُدُّ، وذا يَكُرُّ
وذا يَفِرُّ، وذاك يَزْأَرُ واثِبا

* * *

وعَلا عليٌّ رأسَ تَلٍّ مُشْرِفٍ
يَدْعُو مُعاويةً، وليس يُهاجِمُ
دَعْنا من الحَرْبِ الأَكُولِ، كَريهةً
وٱبْرُزْ لِوَحْدِكَ شامخًا نَتَصادَمُ

مَنْ فازَ مِنّا، فاز مُجْمَلُ جَيْشِهِ
فيكونُ مَهْزومٌ، هُناك، وهازِمُ

ويَلِي أُمورَ المُسْلمينَ خليفةً
وتُطِيع إمْرتَهُ، الغَداةَ، عَواصِمُ

فَتَهَلَّلَ ٱبنُ العاصِ مُبْتَهِجًا بما
عَرَضَ الإِمامُ، وقالَ: ذاك مُلائمُ

لٰكنْ معاويةٌ تَضاحَكَ ساخِرًا
وكأنَّما هُدَّت لَدَيْهِ عَزائمُ

وأجابَهُ، والخَوفُ مِلءُ جَنانِهِ،
لا شَكَّ أَنَّكَ مازِحٌ أو واهِمُ

أَطَمِعْتَ، يا عمرًا بها مُتذاكيًا؟
بارِزْهُ أَنتَ، تَعُدْ، وأَنْفُكَ راغِمُ

نَلْقاه مُتَّحِدِين، تَجْمَعُنا وَغًى
وهُناكَ تَحْكُمُ بالرِّقابِ صَوارِمُ

فأجابَهُ عَمْرو: أَتَجْبُن عازفًا
عنهُ، وتُتْهِمُنِي بأنِّي هائمُ؟!

لَأُبارِزَنَّ، وأَحْفَظَنَّ كَرامتي
وإذا أَمُوتُ، فإنَّ ذِكْرِيَ سالِمُ

وَيَكادُ يُرْدِيهِ عليُّ بِطَعْنَةٍ
لولم يَرُدَّ بما يَقِي ويُسالِمُ

فَعَلِيُّ لم يَنْظُر حَيًا وتكرُّمًا
في عَوْرَةٍ، وَلَدَيهِ خُلْقٌ عاصِمُ

* * *

وتَلاحَمَ الجَيشانِ، ثانيةً، وما
نالَ المُنَى إلاَّ الفَناءُ الدّاهِمُ

ودَهَـتْ مُـعـاويـةً طَـلائـعُ رِيـبـةٍ
فـأَسَـرَّ لابْـن الـعـاصِ مـا هـو كـاتِـمُ

فأَجابَ: تُعْلَى بالرِّماح مَصاحِفٌ
ويُـحـكَّـمُ الـدِّيـن الَّـذي هـو حـاكِـمُ

وعَلَتْ مَصاحِفُهُمْ، وضَجَّ هُتافُهمْ
مَنْ لِلذَّراري، يومَ سَيْفُكَ جازِمُ؟

مَنْ، يـا إمـامُ يَـصُـونُ حُـرْمَـةَ قَـوْمِـنـا
ويَـرُدُّ جـيـشَ الـرُّومِ حـيـنَ يُـهـاجِـمُ؟

* * *

أمّـا عـلـيٌّ فـكـان حَـقًّـا كـارِهًـا
لـلـصُّـلْـحِ والـتَّـحـكـيـمِ، وهـو الـغـانِـمُ
لـولا انْـشِـقـاقُ الـجـيـشِ بـيـن مُـؤيِّـدٍ
ومُـعـارِضٍ، ونُـشُـوءُ مـا هـو قـاسِـمُ

هِيَ كِلْمةٌ لِلْحَقِّ يُقْصَدُ باطِلٌ
منها، ويُدْرِكُها الإِمامُ العالِمُ

* * *

وأَتَى الخَوارِجُ حامِلينَ سُيُوفَهُمْ
فَلْيَسْتَجِبْ إنَّ التَّدَيُّنَ لازِمُ

رَضَخ الإِمامُ، ولو على مَضَضٍ، تُقًى
فالحُكْمُ شُورَى، والتَّشاوُرُ قائمُ

وتآمَرَ الحَكَمانِ في أن يَخْلَعا
الخَصْمينِ جَهْرًا، والتآمُرُ هادِمُ...

ويُنَصِّبان على الخِلافةِ، ثالثًا
فَيَعِزُّ مَسْؤولٌ، ويَسْكُتُ لائمُ

وتَكَلَّمَ ٱبنُ العاصِ مُبْتَدِرًا أَبا
موسى: تَكَلَّمْ، أَنْتَ، أنتَ الحازمُ

فأجابَ: إنِّي قد خلَعْتُهُما معًا
وكما يُزالُ منَ الأَصابِعِ خاتِمُ

لكنَّ عَمْرًا خالفَ الأَمْرَ الَّذي
ٱتَّفقا عليهِ، وزيَّنَتْهُ مَزاعِمُ

نادَى بِوالي الشّام، بَعْدُ، خليفةً
وهو المُخادِعُ، والحَلِيفُ الدّائمُ

فتَخاصَمَ الحَكَمانِ، وٱفتُضِحَ الهَوَى
كُلٌّ يُقارِعُ خَصْمَهُ ويُشاتِمُ

وتَجادَلا، وتشاتَما، وتَنابَذا
والأَشْعَرِيُّ على الخِيانةِ نادِمُ

معركة النهروان

خَرَجَ الخَوارجُ صَوْبَ أَرْضِ النَّهْروانْ
يَتَحصَّنُونَ بها ، وقد خَسِروا الرِّهانْ

والأَشْعرِيُّ غَدا بِمَكَّةَ خائبًا
وكَذا مَصِيرُ مَنِ ٱرْتَشَى يومًا ، وخانْ

عَرَضَ الإِمامُ على الخَوارجِ عَوْدَهُمْ
صَوْبَ الصَّوابِ ، ويَشْمَلَنَّهُمُ الأَمانْ

رَفَضُوا ، فَطالَبَهُمْ بِمَنْ قَتَلُوا لَهُ
إخوانَهُ ، أو زَلْزَلُوا أُسُسَ الكِيانْ

رَدُّوا عـلـيـهِ مُـهَـدِّديـنَ بـأنَّـهـمْ
هُـمْ قاتِلُوهُـمْ، ولْتَكُنْ حَرْبٌ عَوانْ

فَأَتاهُـمُ غَـضِبًا وخاطَبَ جَمْعَهُمْ
باللَّعنةِ الكُبْرَى، تَفِيضُ مِنَ الجَنانْ

لِـيَـقُـولَ إنِّـي قـد نَـهَـيْـتُـكُـمُ عـنِ
التَّحكيمِ، والتَّحكيمُ مِنْ حِيَلٍ يُزانْ

فـأَبَـيـتُـمُ، وعَـصَـيْـتُـمُـونـيَ، وَيْـحَـكُـمْ
وخَـرَجْـتُـمُ مِـنِّـي لِـيَـخْـذُلَـنـي الـزَّمـانْ

رأيُ الإِمـام كـمـا الـمُـهَـنَّـد إنَّـمـا
يَنْبُو المُهَنَّدُ، إن وَهَتْ كَفُّ الجَبانْ

فَتَصايَحَتْ عُصَبُ الخَوارجِ كلُّها:
الحَرْبَ، ثُمَّ الحَرْبَ، ثُمَّ إلى الجِنانْ

رَفَعُوا سُيُوفَهُمُ على أَكْتافِهِمْ
وعلى عليٍّ أعْلَنُوا طَلَبَ الطِّعانْ

لكنْ عليٌّ قد نَهَى أَصْحابَهُ
عَنْ بَدْئها، ولَرَأْيُهُ الرَّأيُ الحُسانْ

شَدَّ الخَوارِجُ شَدَّةً مَجْنُونةً
هاجُوا عليهِ بها كما هاجتْ هِجانْ

فَعَدا عليهِمْ ثُمَّ شَتَّتَ شَمْلَهُمْ
وأَذَلَّهُمْ، وأَذاقَهُمْ طَعْمَ الهَوانْ

شهادة الإسلام

عـادَ الإمـامُ إلـى الـعِـراقِ مُـعَـذَّبًـا
بِـــفـــؤادِهِ تَـــتَـــصـــارَعُ الأَهـــواءُ

يـتـأمَّـلُ الأَيّـامَ كـيـف تَـنـاثَـرَتْ
صُفْرَ الوُجُوهِ، وكيف خابَ رَجاءُ

الـكِـذْبُ أَمْـسَـى لِـلْـحَـقِـيـرِ سِـيـاسـةً
والـمَـكْـرُ يُـكْـرَمُ، والـخِـداعُ دَهـاءُ

وإذا تـعـاظَـمَـتِ الـمَـطـامِـحُ وارْتَـقَـت
عَـزَّ الـشَّـريـكُ، وأَخْـلَـفَ الـحُـلـفـاءُ

ولِـكُـلِّ داءٍ فـي الـحـيـاة دَواؤه
إلاَّ الـحَـسُـودَ فـمـا يَـقِـيـهِ دَواءُ

إنَّ الـشَّـريـفَ يُـخِـيـفُ كُـلَّ مُـدَنَّـسٍ
وَيَـسُـوءُ طَـبْـعَ الـفـاسِـدِ الـصُّـلَـحـاءُ

وكَـذا الـعـظـيـمُ، فـلـيس يُـدْرِكُ قَـدْرَهُ
إلاَّ الـعـظـيـمُ، ويَـنْـدُرُ الـعُـظَـمـاءُ

فَـلَـكَـمْ بَـذَلْـتُ مِـنْ الـجِـهـادِ لأُمَّـتـي
ومـن الـنُّـهَـى مـا يَـحْـمَـدُ الـحُـلَـمـاءُ!

خـانَ الـخَـوارِجُ، واكْـتَـويـتُ بِـغَـدْرِهِـمْ
وأنـا الـوَفـاءُ، ومـا سِـوايَ وَفـاءُ

«لا حُـكْـمَ إلاَّ لـلإِلٰـه»: مَـقُـولـةٌ
لِـلْـحَـقِّ أَبْـطَـلَ صِـدْقَـهـا الـجُـبـنـاءُ

فـي ذِمَّـةِ الـهِـمّـاتِ مـا أنـا فـاعـلٌ
كـم كَـلَّـفَـتْـنـي هِـمَّـتـي الـشَّـمّـاءُ!

يَـدْعُـونَـنـي لِـلـحـربِ بَـعْـدَ تَـخـاذُلٍ
فـي يـومِ «صِـفِّـيـنٍ»، وذاكَ غَـبـاءُ

أَنـا لَـسْـتُ أَنْـقُـضُ مـا حَـيِـيتُ وَثـيـقةً
وَقَّـعْـتُـهـا، أَنـا مـا لَـدَيَّ رِيـاءُ

* * *

وتَـعُـودُهُ ذِكْـرى تَـحَـسُّـره عـلـى
«أُحُـدٍ»، وكـم سَـقَـطـتْ بـهـا شُـهَـداءُ!

يـا لـيـتَـهُ كـان الـشَّـهـيـدَ، ولـم يَـعِـشْ
حَـتَّـى يُـشـاهِـدَ مـا جَـنَـى الـجُـهَـلاءُ

ويَـرُوقُـه قَـوْلُ الـنَّـبـيِّ مُـحَـذِّرًا
«هِيَ من وَرائكَ»، أَهْلُها خُبَثاءُ[1]

لا، لـن أَراكَ أَوانَ يُـضْـرَبُ رأسُـك
الـسّـامـي، تُـضَـرِّج وَجْـنَـتَـيْـك دِمـاءُ

وبِـدارِ كُـلْـثُـومٍ[2] تَـذَكَّـرَ لـيـلـةً
وَعْـدَ الـرَّسُـولِ بـأنْ يـكـونَ لِـقـاءُ

فـي جَـنَّـةِ الـفِـرْدَوْسِ وَسْـط أقَـارِبٍ
تـاقُـوا إلـيـه، وكُـلُّـهُـمْ سُـعـداءُ

هُـمْ حـارَبُـوني حِـينَ كـنتُ حَـرَمْـتُـهُـمْ
سَـبْـيَ الـنِّـسـاءِ، ومـا تَـحِـلُّ نِـسـاءُ

---

(١) هي من ورائك: إشارة إلى قول النَّبيّ ﷺ لعليّ عليه السلام إنَّك، بَعْدُ، سَتَستشهد.

(٢) كلثوم: بنت الإمام عليّ عليه السلام.

وبيَومِ «صِفِّينٍ» مَحَوْتُ إمارتي
وهُمُ الَّذين تَهُمُّهُمْ أَسْماءُ

وبأَنَّني شَكَّكْتُ في نَفْسي، وقد
جارَتْ عليَّ بِحُكْمِها الحُكَماءُ

الحَقُّ لي: قالُوا، فكيف أُبِيحُهُ؟
ومتى أَباحتْ حَقَّها العُقَلاءُ؟!

صَدَقُوا، ولكنْ قد تَناسَوا أَنَّني
لِسِوَى العَدالةِ ما لَدَيَّ وَلاءُ

وأنا الضَّميرُ لأُمَّتي، أَأَشُقُّها؟
أنا مِنْ تَشَقُّقِ أُمَّتي لَبَراءُ

وأَنا بِنَفْسي قد سَكِرتُ كأَنَّني
أَبَدًا لِخَمْرِ المَكْرُماتِ إناءُ

وغَـداةَ صُـبْـحٍ قـد تَـلَـمَّـس حَـتْـفَـهُ
فـإلـى الـصَّـلاة سَـرَى، وثَـمَّ رَجـاءُ

سَـمِـعَ الإِوَزَّ صَـوائـحًـا فـي سـاحـةٍ
والـنّـاسُ تَـزْجُـرُهُـنَّ، هُـنَّ بَـلاءُ

لا تَـزْجُـرُوهـا قـال، فَـهْـيَ صَـوائـحٌ
وغَـدًا نَـوائـحُ إنْ يُـحَـمَّ قـضـاءُ[1]

* * *

دَخَـلَ الإِمـامُ إلـى الـصَّـلاة مـؤذِّنًـا
والـنّـاسُ، مـن شَـغَـفٍ بـه، إصْـغـاءُ

وعَـلا دعـاؤُهُـمُ إلـى رَبِّ الـعُـلَـى
وجَـمـيـعُـهـم لأَمـيـرهـم أُمَـنـاءُ

---

(١) حُمَّ الأمر: قُضِيَ.

وإذا بـوَثْـبـةِ خـائـن غَـدَرتْ بـهِ
مُـذْ فـاجَـأَتْـهُ الـطَّـعـنـةُ الـنَّـجْـلاءُ

وَيْـحَ ٱبْـنِ مُـلْـجَـمٍ الَّـذي أَوْدَى بِهِ
غَـدْرًا، ومـا جَـمَـعَـتْـهـمـا الـهَـيْـجـاءُ

فَـخْـرُ الأَئـمَّـةِ آنَ تَـفْـتَـخِـرُ الـتُّـقـى
تـاجُ الـخِـلافـةِ، إن جَـلا الـخُـلَـفـاءُ

شَـهِـدَ الـضِّـيـاءَ بِـمَـسْـجِـدٍ، وبـمَـسْـجِـدٍ
كـانـت شَـهـادَتُـهُ وغـابَ ضِـيـاءُ

جورج شكّور
١٥ آب ٢٠٠٦

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدّمة	٧
مَوْلِدُ الإمام	١٣
عليٌّ والنَّبيّ	١٥
رحلة عليّ إلى يَثْرِب	٢٦
معركة بَدْر	٢٩
زواج عليّ	٣١
معركة أُحُد	٣٤
معركة أُحُد	٣٩
معركة الخَنْدَق	٤٧
معركة خَيْبَر	٥٤
يومُ الغدير	٥٩
مَوْتُ الرَّسُول	٦٥

الموضوع	الصفحة
مبايعة عليّ	٦٨
مُبايعة عليّ	٧٢
مَعْركةُ الجَمَل	٨٠
معركة صفِّين	٩٤
التحكيم والخوارج	٩٩
معركة صِفِّين والتَّحكيم	١٠٣
معركة النَّهْرَوان	١١٤
شَهادة الإمام	١١٧

* * *